كيفَ نبني مُجتمعاً أرقى؟

الكتاب: كيف نبني مجتمعًا أرقى؟

المؤلف: الشيخ د. أكرم بركات

الناشر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعة الرابعة: بيروت ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

كيف نبني مجتمعاً أرقى؟

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف

قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر والسلوك

وتضيء على طريق سعادة الإنسان،

وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة

لبيروت ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة

بين يديك عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

مقدَّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وكفى، وصلى اللّه على المصطفى، وآله الذين اصطفى.

إنّها قيم تقاطرت من سماء الإسلام ألقيتها خطبًا في المسجد الحبيب، ثم أودعتها كلمات؛ لتلحق بأخواتها في «سلسلة على منبر القائم عجّل الله فرجه الشريف»؛ لعلّها تساهم في صناعة مجتمع التمهيد الذي يمثّل القاعدة لتغيير العالم نحو حياة أرقى.

شوّال ١٤٣٤هـ / آب ٢٠١٣م

أكرم بركات

بيروت - مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف

1

النظام

يُحدّثنا اللّٰه تعالى في كتابه الكريم عن بديع نظامه بقوله:

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ
٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ
٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ
ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[1].

ويحدّثنا في سورة الروم عن هذا النظام الإلهي بقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ
أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ

---

(١) سوة يس، الآيات ٣٧–٤٠.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

إنّها آيات عظيمة تُرشد إلى عظمة الخالق، وترشد أيضًا إلى النظام العام في هذا الوجود.

ومع أنَّ الآيات السابقة كانت في مقام الحديث عن النظام العام التكويني، إلا أنَّ الله تعالى أراد أن يعمَّ النظام الحياةَ في تكوينها وتشريعها، لذلك نظّم الحياة في علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالبيئة والكون، فكان الدين هو عنوان الشريعة المنظّمة لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية، فعن الإمام علي عليه السلام في وصية لولديه: «أوصيكما وجميع ولدي، وأهلي، ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم»(٢).

---

(١) سورة الروم، الآيات٢٢-٢٤.

(٢) ابن أبي طالب، الامام علي عليه السلام، تحقيق محمد عبده ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ، ج٣، ص٧٦.

تنظيم الإنسان قبل ولادته

نظَّم الدين حياة الإنسان حتّى من قبل أن تلده أمّه؛فقد اهتمَّت الشريعة الإسلاميّة بصفات الزوج والزوجة المؤثّرة على الولد، فعن الإمام علي عليه السلام: **«إياكم وتزويج الحمقاء؛ فإنَّ صحبتها بلاء، وولدها ضياع»**[1].

وكذا ورد في الحديث ما يتعلّق بمستقبل الإنسان أثناء الحمل، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«أطعموا حبالاكم السفرجل؛ فإنَّ في ذلك تحسين أخلاق أولادكم»**[2].

تنظيم الإنسان بعد ولادته

وتابع الإسلام هذا التنظيم بعد الولادة.

فشرّع الأذان والإقامة في أُذُنَي المولود، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«من ولد له مولود، فليؤذِّن في أذنه اليمنى**

---

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢٠، ص ٨٤.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م ج١٥، ص ١٥٤.

بأذان الصلاة، وليقم في أذنه اليسرى ؛ فإنها عصمة من الشيطان الرجيم»[١].

وفي اليوم السابع شرّع العقيقة عنه، والتصدّق بوزن الشعر ذهبًا أو فضّة، وختان الصبي[٢].

كما أرشد إلى الرضاع الصحيح، واهتمَّ بتسمية الولد وأثرها التربوي.

ودخل الإسلام في عملية التنظيم التربوي مقسّمًا التربية إلى مراحل ثلاث، عبّر عنها النبيّ ﷺ بقوله: «الولد سيِّدٌ سبع سنين، وعبدٌ سبع سنين، ووزيرٌ سبع سنين»[٣].

تنظيم وقت الإنسان

كما أرشد الإسلام إلى تنظيم حياة الإنسان من خلال تنظيم وقته.

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٤٠٦.
(٢) انظر: بركات، أكرم، كيف تجعل ولدك صالحًا، ط١٠، بيروت، بيت السراج، ص ٣٧ – ٤٠.
(٣) المصدر السابق، ص ١٩٥. (راجع تفصيل ذلك في: بركات، أكرم، كيف تجعل ولدك صالحًا).

فعن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات:

١. ساعة لمناجاة الله،

٢. وساعة لأمر المعاش،

٣. وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن،

٤. وساعة تختلون فيها للذاتكم في غير محرَّم»[1].

تنظيم طعام الإنسان

كما أرشد إلى تنظيم طعام الإنسان، فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك أن تأكل ما لا تشتهيه؛ فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً، وسمِّ الله»[2].

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ص ٤٠٩.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني، ج٢، ص ٨١٤.

التنظيم في اللياقات

وأرشد إلى تنظيم التحية بتشريع «السلام عليكم» على أنّها تحيّة الإسلام[١]. وأن يسلِّم الصغير على الكبير، والراكب على الماشي، والمارّ على الجالس.

التنظيم في الأماكن العامّة

وأراد الإسلام لهذا النظام أن يظهر في المجتمع العام انطلاقًا من الحدّ الأدنى الذي عبّرت عنه القاعدة التي أرستها السُّنّة النبوية: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»[٢].

فالشارع العام، مثلاً، مشترك بين جميع الناس، فلا يجوز الاضرار فيه بالمارة، مثل: أن يوقف سيارته بحيث يسبِّب ازدحاماً للسير، وأن يرمي في الشارع ما يؤذي المارة.

وقد يسبِّب ذلك الضمان، كما يُفهم ممّا رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن الشيء يوضع على

(١) الصدوق، محمد، (لا، ط) النجف، المكتبة الحيدرية، ج١ ص ١٠٢.
(٢) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج٢٦، ص١٤.

طريق المسلمين فتمرّ الدابة فتنفر بصاحبها فتعقره، قال عليه السلام: «**كلّ شيء يضرّ بطريق المسلمين، فصاحبه ضامن لما يصيبه**»[(١)].

وعليه فالإنسان الذي يركن سيارته في الشارع ويتركها، بحيث يؤدي ذلك إلى ازدحام في السير، عليه أن يهيِّئ نفسه لأسئلة محرجة من الناس المتضرّرين من فعله.

وقد تتعلّق هذه الأسئلة بأمور ليست في حسبانه، وقد تدخل في إطار طلب المقابل منه، والذي قد يكون حينها حسنات تؤخذ منه، أو سيئات تُدفع إليه، ومن تلك الأمور:

١- صرف الوقود الزائد من عدّة سيارات بسبب سيارته الواقفة.

٢- تأخر بعض الناس عن أشغالهم، أو التلامذة عن مدارسهم بما يرتّب عليهم أعباء لاحقة.

٣- إزعاج الناس بأصوات أبواق السيارات.

---

(١) الصدّوق، من لا يحضره الفقيه، ط٢، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة، ١٤٠٤هـ، ج٤، ص ١٥٥.

٤- أمراض قد تتضاعف بسبب ذلك الوقوف، كبعض أمراض الأعصاب.

٥- تبعات التدافع الذي قد يحدث بسبب ذلك.

وفي المقابل فإنّ من جميل قيم الإسلام، في هذا المجال، دعوة الرسول الأكرم ﷺ كلّ مسلم إلى الصدقة اليوميّة، إذ قال ﷺ: «إنَّ على كلّ مسلم في كلّ يوم صدقة»[١]، وحينما سئل من يطيق ذلك، قال ﷺ: «إماطتك (أي رفعك) الأذى عن الطريق صدقة»[٢].

وكذلك ما ورد من قول رسول اللّه ﷺ:

- «دخل عبدٌ الجنّةَ بغصنٍ من شوك كان على طريق المسلمين، فأماطه عنه»[٣].
- «مرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذَّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل[٤]، فإذا هو ليس يُعذَّب، فقال عليه السلام:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق محمد الباقر البهبودي، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م، ج٧٢، ص ٥٠.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٩.
(٤) أي في العام الآتي.

يا ربّ، مررت بهذا القبر عام أول، وهو يعذَّب، ومررت به العام، وهو ليس يعذَّب، فأوحى الله جل جلاله إليه : يا روح الله، قد أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقًا، وآوى يتيمًا، فغفرت له بما عمل ابنه»[١].

- «من بنى على ظهر طريق مأوى عابر سبيل بعثه الله يوم القيامة على نجيب من درّ وجوهر، ووجهه يضيء لأهل الجمع نورًا»[٢].
- «من حفر بئرًا أو حوضًا في صحراء صلّت عليه ملائكة السماء، وكان له بكل من شرب منه من إنسان، أو طير، أو بهيمة ألف ألف حسنة متقبلة..»[٣].

---

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج١٦، ص ٣٣٨.
(٢) المرجع السابق، ص٣٣٩.
(٣) الميرزا النوري، مستدرك وسائل الشيعة، ج١٢، ص ٣٨٦.

2

النظافة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله عز وجل يحبّ الجمال والتجمّل، ويبغض البؤس والتباؤس؛ فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبدٍ أحبّ أن يرى عليه أثرها»، سئل عليه السلام: وكيف ذلك؟ فأجاب عليه السلام: «ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه، ويجصّص داره، ويكنس أفنيته»(١).

إنّه حديث حول الجمال يبدأ بنظافة الإنسان، وينتهي بنظافة البيئة، المنطلقة من الكمالات الإلهية، ففي الحديث النبوي الشريف: «إنّ الله طيّب يحبّ الطيّب، نظيف يحبّ النظافة»(٢).

---

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت)، ج١، ص ٦٦٠.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، ١٩٨٣م، ج٤، ص١٩٨.

إنّ النظافة من القيم التي أكّد عليها الإسلام معتبرًا:

أ- أنّها من الكمالات الإنسانية.

ب- أنّها من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «من أخلاق الأنبياء التنظّف»[١].

ج- أنّها من جنود العقل. ففي وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، في مقام تعداد جند العقل: «النظافة، وضدّها القذارة»[٢].

د- أنّها من أعمدة البنيان الإسلامي التي لها انعكاس في الآخرة، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «تنظّفوا بكلّ ما استطعتم؛ فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنّة إلا كلّ نظيف»[٣].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧هـ، ج٥، ص٥٦٧.

(٢) الصدوق، علل الشرائع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، (لا،ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦، ج١، ص١١٥.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، ط١، (لا،م)، (لا،ت)، ج٤، ص٣٣٠٣.

نظافة الجسد

والبدء من نظافة الجسد التي دعا الإسلام إليها باعتبارين:

الأول: احترام الذات، ففي الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «**طهّروا هذه الأجساد، طهّركم الله؛ فإنّه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره، ولا يتقلّب ساعة من الليل إلاّ قال: اللهمّ اغفر لعبدك؛ فإنّه بات طاهرًا**»[١].

الثاني: احترام الآخر، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «**تنظّفوا بالماء من النتن الريح الذي يُتأذى به، تعهّدوا أنفسهم؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يبغض من عبده القاذورة الذي يتأنّف به من جلس إليه**»[٢].

نظافة الجسد الواجبة

تماشياً مع ما مرّ، وإضافة إلى أمور معنويّة تساهم في البناء الكمالي للإنسان، أوجب الله تعالى أنواعًا من الطهارة والنظافة، منها:

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٠٢.

١- الوضوء الواجب للصلاة.

٢- التطهير الواجب للأعضاء التي تتنجّس كشرط لازم لصحّة الصلاة والطواف.

٣- الأغسال الواجبة كغسل الجنابة، وأغسال المرأة في الحالات الخاصة التي تعتريها، وفي الحديث: «**علّة غسل الجنابة النظافة؛ لتطهير الإنسان مما أصابه من أذاه، وتطهير سائر جسده**»[1].

نظافة الجسد المستحبّة

إضافة إلى ما مرّ من الطهارة الواجبة ورد في الروايات الدعوة المستحبّة إلى الكثير من أنواع الطهارات والتنظيفات منها:

أ- الوضوء لأجل المباشرة في أعمال مطلوبة، كالوضوء لأجل قضاء حاجة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إني لأعجب ممن يأخذ في حاجة، وهو على وضوء،**

---

(١) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى الطالب، ط١، مشهد، ١٤١٣هـ، ج٢، ص ٢٦٢.

كيف لا تُقضى حاجته.»[1] بل ورد استحباب تجديد الوضوء على وضوء، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«الطهر على الطهر عشر حسنات»**[2].

ب- الأغسال التي وردت فيها العديد من الروايات منها: ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: **«...وغسل الجمعة سُنّة، وغسل العيدين، وغسل دخول مكّة والمدينة، وغسل الزيارة، وغسل الإحرام، وأوّل ليلة من شهر رمضان، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع عشرة، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، هذه الأغسال سُنّة»**[3].

ج- النظافة لبعض أنحاء الجسم، فعن الإمام الكاظم عليه السلام **«خمس من السنن... أمّا التي في الجسد فالختان، وحلق العانة، ونتف الإبطين، وتقليم الأظفار، والاستنجاء»**[4].

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج١٩، ص٣٩.
(٢) المصدر السابق ص٣٧٦.
(٣) الحر العاملي، محمد، وسائل الشيعة، ط٢، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٤ هـ، ج٣، ص ٣٠٥.
(٤) المصدر السابق، ج٢، ص١٣٧٢.

نظافة الفم

ورد في الروايات دعوة إلى تنظيف الفم، يواكبه الأخذ من الشارب بحيث لا يمتدّ الشعر إلى الشفتين، ففي الحديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**خذ من شاربك وأظفارك في كلّ جمعة**»[(١)].

مع التأكيد على تنظيف الأسنان وتطييب الفم بالسّواك، فعن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**تخلّلوا؛ فإنّه من النظافة، والنظافة من الإيمان، والإيمان وصاحبه في الجنّة**»[(٢)]، وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسّواك مع كلّ صلاة**»[(٣)].

كما ورد أنّ الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا علي، عليك بالسّواك، وإن استطعت أن لا تُقِلَّ منه فافعل، فإنّ كلّ صلاة تصلّيها بالسواك تفضل على التي تصلّيها بغير سواك أربعين يومًا**»[(٤)]، وكذا ما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٤٩٠.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك وسائل الشيعة، ج١٦، ص٣١٩.
(٣) الطوسي، محمد، الخلاف، (لا.ط)، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٧ هـ، ج١١، ص ٧١.
(٤) المصدر السابق نفسه.

«طيّبوا أفواهكم بالسّواك؛ فإنّها طُرق القرآن»[١]،

وعنه ﷺ: «نظّفوا أفواهكم؛ فإنّها طُرق القرآن»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «في السواك اثنتا عشرة خصلة:

١- هو السُنّة

٢- ومَطهَرَةٌ للفم

٣- ومجلاةٌ للبصر

٤- ويرضي الرحمن

٥- ويبيّض الأسنان

٦- ويذهب بالحفر

٧- ويشدّ اللثة

٨- ويشهّي الطعام

٩- ويَذهب بالبلغم

١٠- ويزيد في الحفظ

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

١١- ويضاعف به الحسنات

١٢- وتفرح به الملائكة»[١].

نظافة اليدين

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «غسل اليدين قبل الطعام، وبعده زيادة في العمر... ويجلو البصر»[٢].

نظافة الثياب

أكّدت الأحاديث الشريفة على أهميّة تنظيف الثياب، فعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من اتخذ ثوبًا فلينظّفه»[٣]، وعن جابر بن عبد الله: **أتانا رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، **فرأى رجلًا شعثًا، قد تفرّق شعره، فقال** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أما كان يجد هذا ما يسكِّن به شعره»؟! **ورأى رجلاً آخر عليه ثياب وسخة، فقال** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أما كان هذا يجد ماءً يغسِّل به ثوبه؟!»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٩٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٤١.

(٤) السجستاني، سليمان بن الاشعث، سنن أبي داود، تحقيق سعيد اللحّامة، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ هـ، ج٢، ص ٢٦١.

وعن الأثر الجميل لتنظيف الثياب ورد عن رسول اللّه ﷺ أنه قال لإحدى زوجاته: «اغسلي هذين الثوبين، أما علمت أنّ الثوب يسبّح، فإذا اتسخ انقطع تسبيحه»[١]، وعن الإمام علي عليه السلام: «النظيف من الثياب يذهب الهمّ والحزن، وهو طهور للصلاة»[٢].

نظافة البيوت

أكّدت الروايات الواردة عن النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على أهمّية الاعتناء بنظافة البيوت بنحو دقيق، وهذا ما نلاحظه في الأحاديث الآتية:

- عن الإمام الباقر عليه السلام: «كنس البيوت ينفي الفقر»[٣].
- عن الإمام علي عليه السلام: «لا تؤوا التراب خلف الباب»[٤].

(١) المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمّال، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩هـ، ج٩، ص ٢٧٨.
(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين، تحقيق حسين الكرماني وعلي الاشتهاردي، (لا، ط)، قم، بنياد فرهنك اسلامي، (الت،) ج٧، ص ٦٢٠.
(٣) الحر العاملي، محمد، وسائل الشيعة، ج٥ ص ٣١٧.
(٤) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين، ج٥، ص ٣١٨.

- عن الرسول الأكرم ﷺ: «**لا تبيّتوا القمامة في بيوتكم، وأخرجوها نهارًا؛ فإنّها مقعد الشيطان**»[(١)].

- عنه ﷺ: «**بيت الشياطين من بيوتكم بيت العنكبوت**»[(٢)].

- عن الإمام علي عليه السلام: «**نظّفوا بيوتكم من حوك العنكبوت؛ فإنّ تركه في البيت يورث الفقر**»[(٣)].

نظافة الشوارع

ذمّت الروايات أولئك الذين يؤذون الناس بوضع القاذورات في الشوارع والطرقات العامّة. ففي الحديث عن النبي الأكرم ﷺ: «**من سلّ سخيمة**[(٤)] **على طريق عامر من طرق المسلمين، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[(٥)].

(١) الحر العاملي، محمد، هداية الامة الى احكام الأئمة، ط١، مشهد، مجمع البحوث العلمية، ١٤١٢هـ، ج٢، ص ٢١٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٠.
(٤) السخيمة: الغائط (ابن منظور، محمد، لسان العرب، (لا، ط) قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ج١٢، ص٢٨٣).
(٥) النيسابوري، الحاكم، المستدرك، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (لا، ط)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج١، ص ١٨٦.

وعنه ﷺ: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظلّ، وقارعة الطريق**».

وفي مقابل ذلك حثّت الروايات، كما مرَّ، على إزالة ما يؤذي المسلمين في الطرقات العامّة فعن النبي ﷺ: «**إنّ على كلِّ مسلم في كلِّ يوم صدقةً، قيل: من يطيق ذلك؟ قال ﷺ: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة**»[1].

(١) الراوندي، قطب الدين، الدعوات، ط١، قم، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ١٤٠٧هـ، ص ٩٨.

3

البيئة

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

خلق اللّه الكون، فأتقن صنعه ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[2].

وحفظ صنعه بإتقان ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات ٣٢-٣٤.
(٢) سورة النمل، الآية ٨٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٢.

ودعانا أن نستفيد من نعمه ولا نفسدها ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾[(١)]
وهدّدنا ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾[(٢)].

وكتطبيق على هذا التهديد نقرأ آيات وأحاديث تربط بين معاصي الإنسان وانفعال الكون، من هذه النصوص:

١- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾[(٣)].

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**...في الزنا ست خصال، ثلاث منها في الدنيا، وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا، فيذهب بالبهاء، ويعجّل الفناء، ويقطع الرزق**»[(٤)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢١١.
(٣) سورة النحل، الآية ١١٢.
(٤) الكاشاني، التفسير الصافي، ط٢، قم، مكتبة الصدر، ١٤١٦هـ، ج٣، ص ١٩٠.

٣- عن الإمام الباقر عليه السلام: «وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها»[(١)].

٤- وعنه عليه السلام: «وجدنا في كتاب رسول الله...وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها»[(٢)].

وعلى قاعدة حفظ نعم الله تعالى وخلافة الإنسان في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(٣)] أراد الإسلام أن نحافظ على البيئة، ونطوِّرها كما نلاحظ ذلك في المجالات التالية:

أ- في مجال الثروة النباتية

١- عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم يغرس غرسًا يأكل منه انسان أو دابّة أو طير إلا أن يكتب له صدقة إلى يوم القيامة»[(٤)].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٢٧٤.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص ٣٧٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٤) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قم، المؤلف، ١٤١١هـ، ج١٨، ص ٤٢٩.

٢- عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «كان أبي يقول: خير الأعمال الحرث، تزرعه، فيأكل منه البرّ والفاجر»[١].

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: «ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحلَّ ولا أطيب منه»[٢].

وفي المقابل هناك نصوص تنهى عن قطع الأشجار المثمرة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تقطعوا الثمار (أي الأشجار المثمرة) فيصبّ الله عليكم العذاب صبًّا»[٣]

ب- في مجال الثروة الحيوانية

دعا الإسلام إلى الاستفادة من الثروة الحيوانية من دون جعلها للّهو والترف، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يخرج إلى الصيد مسيرة يوم أو يومين أيقصّر في صلاته أم يتمّ؟ فقال عليه السلام: «إن خرج لقوته، وقوت عياله، فليفطر ويقصِّر، وإن خرج لطلب الفضول فلا،

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٣٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥، ص ٢٦٠.

(٣) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج١٩، ص٣٩.

ولا كرامة»[١]، فالحكم ببقاء الصوم والافطار للّذي خرج لصيد اللهو يدلّ على قبح هذا العمل، باعتبار ان هذا الحكم مشرَّع لمن خرج لأجل الحرام، ولا يخفى مساهمة هذا الحكم في التقليل من صيد الحيوانات.

ج - في مجال الثروة المائية

دعا الإسلام إلى عدم الإسراف في صرف المياه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء»[٢].

كما دعا إلى عدم جعل النجاسة في المياه. بل ورد أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يمنع أن يُلقى السمّ في المياه، وإن كانت في بلاد العدو.

د - في مجال الأماكن العامة

دعا الإسلام إلى إماطة الأذى عن الطرقات العامة، كما تقدّم، فقد ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ على كلّ مسلم

(١) العلامة الحلي، الحسن، تذكرة الفقهاء، ط١، قم، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ١٤١٤ هـ، ج٤، ص ٤٠٠.
(٢) المصدر السابق، ج٦، ص ٤٦٠.

في كلّ يوم صدقة .. قيل: من يطيق ذلك، قال ﷺ: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[١]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أضرّ بشيء من طريق المسلمين، فهو له ضامن»[٢].

ولهذا خلفية قيميّة عالية عبّر عنها الإمام علي عليه السلام بقوله: «اجعل نفسك ميزانًا بينك وبين غيرك، فأحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها»[٣].

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٥٩٧.
(٢) روح الله، الخميني، الرسائل، تحقيق مجتبى الطهراني، (لا،ط)، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٨٥هـ، ج١، ص ١٤٠.
(٣) الإمام علي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢ هـ، ج٣، ص ٤٥.

4

الجمال

قال اللّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢﴾[1].

الشعائر جمع شعيرة، وهي العلامة الظاهرة الدالّة على أمرٍ ما، فمعنى كون الصفا والمروة من شعائر اللّٰه، أي أنّهما من العلامات الظاهرة الدالّة على اللّٰه عزّ وجلّ.

القلوب جمع قلب، وهو الباطن والداخل للإنسان الذي يعبّر عن حقيقته، ويحرّك ظاهره.

الملاحظ أنّ هذه الآية تربُط بين الظاهر والباطن، فتفيد أنّ تعظيم الظاهر الدالّ على ارتباط باللّٰه تعالى هو من تقوى ووقاية وتحصين الداخل والباطن.

---

(١) سورة الحج، الآية ٣٢.

إنّه المنطق الواضح للقرآن الكريم الذي يرفض الاكتفاء بالمضمون الداخلي فقط، ويدعو إلى الاهتمام أيضًا بالشكل والظاهر.

على هذه القاعدة رفض القرآن الكريم منطق المبتعدين عن الزينة باعتبار أنّها من كماليّات الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾[1].

ولعلّ الاستفهام الإنكاريّ الوارد في الآية هو إشارة إلى أنّ الانجذاب إلى الجمال هو أمر منطلق من الفطرة التي زرعها اللّه تعالى في الإنسان تجذبه نحو الكمالات التي تمثّل تجليًّا للكمال الإلهيّ، وهذا ما يعبّر عنه الحديث الوارد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[2]، وكذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ اللّه عز وجل يحبّ الجمال والتجمُّل، ويبغض البؤس والتباؤس، فإنّ اللّه عزّ وجل إذا أنعم على عبدٍ أحبّ أن يرى عليه أثرها»[3].

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٤٣٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.

بناءً على هذه الخلفية اعتنى الإسلام بجمال الجسد والثياب.

أ- جمال الجسد

أكّدت الروايات على تجميل جسد الإنسان من خلال الاهتمام بالأمور الآتية:

١- تقليم الأظفار

دعت الأحاديث الشريفة إلى تقليم الأظفار ولو في كلّ أسبوع مرّة، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من قلّم أظفاره يوم الجمعة أخرج اللّه من أنامله الداء، وأدخل فيه الدواء**»[١].

٢- تزيين الشارب

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**خذ من شاربك وأظفارك في كلّ جمعة**»[٢].

(١) الصدوق، محمد، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ، ص ٣٩١

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٤٩٠.

٣- تسريح الشعر

ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «كثرة تسريح الرأس تذهب بالوباء وتجلب الرزق»[١]، كما ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً شعثًا شعر رأسه، وسخةً ثيابه، سيئةً حاله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من الدين المتعة وإظهار النعمة»[٢].

وفي الإطار نفسه ورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام علّق على قول الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾[٣]: بقوله عليه السلام «المشط؛ فإنّ المشط يجلب الرزق، ويحسّن الشعر، وينجز الحاجة...»[٤].

٤- التعطُّر

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «العطر من سنن المرسلين»[٥]، كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «الطيب من أخلاق الأنبياء»[٦].

---

(١) المصدر السابق،ج٦، ص ٤٨٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٣٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية ٣١.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص١١٧.
(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص ٥١٠.
(٦) المصدر السابق.

وفي سيرة النبيّ محمّد أنّه صلوات اللّه عليه وآله كان «يُعرف في الليلة المظلمة بريح عطره قبل أن يُرى»[١]، بل ورد «أنّه كان ﷺ ينفق على الطيب أكثر مما ينفق على الطعام»[٢].

ومن لطيف ما ورد في حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن موضعه في المسجد كان يعرف من طيب ريحه، وموضع سجوده.

وبهدف الحثّ على التعطُّر ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ركعتان يصليهما متعطِّر أفضل من سبعين ركعةً يصليها غيرُ متعطّر»[٣].

٥- التختّم

إضافة إلى التعطّر، حثّ الإسلام على تزيين اليد بالخاتم، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «صلاة ركعتين بفصّ عقيق تعدل ألف ركعة بغيره»[٤].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٦، ص ٢٤٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ج٨١، ص ٣٣٠.
(٤) المصدر السابق، ج٨٠، ص ١٨٧.

ب- جمال اللباس

دعت مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى عدم التجمُّد المطلق في الشكل، والذي منه اللباس، لا سيّما في ما يكون عرضةً للتغيُّر عبر العصور والأزمنة، فتختلف فيه الأذواق من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان، ففي زمن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ورد أنّ اللباس المنتشر بين المؤمنين كان عبارة عن ثوب مرتفع من ناحية القدم، على نحو الدشداشة القصيرة هذه الأيّام، فلو قرأنا رواية أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام كانا يلبسان هذا النوع من الثياب الذي كان وقتها مظهرًا من مظاهر التواضع، فهل يعني أن نتجمّد على ذلك الشكل، ونلبس مثله، ونلزم أبناءنا بلبس مثله؟

الجواب من أمير المؤمنين عليه السلام في كلمتين رائعتين:

الأولى: «**لا تقسروا أولادكم على آدابكم؛ فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**»(١).

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابراهيم، (لا، ط)، قم، اسماعيليان، (لا، ت)، ج٢٠، ص ٢٦٧.

الثانية: «إنّ أحسن الـزيّ ما خلطك بالناس، وجمّلك بينهم، وكفّ ألسنتهم عنك»[١].

تحت سقف هذين الحديثين ورد عن أهل البيت عليهم السلام معايير عامة للباس.

١- منها ما يتعلّق بحرمة وكرامة الإنسان

إنّ الإنسان المؤمن عزيز عند اللّه تعالى، لكنّه ليس مسلّطًا على عزّته؛ فإن اللّه تعالى قد فوّض للمؤمن كلّ شيء، إلا أنّه لم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه، كما عبّرت عن ذلك بعض الأحاديث، لذلك حرّم الإسلام لباس الشهرة، وهو اللباس الذي إن ارتـداه الإنسان، فإنّه يولّد تعجّب الآخرين، وسخريّتهم، وإشارتهم إليه بالبنان، كارتداء الـرجل تنّـورة فـي لبنان، لا فـي اسكتلندا، فعن الإمـام الحسين عليه السلام: «من لبس ثوبًا يشهّره كساه اللّه يوم القيامة ثوبًا من النار»[٢].

(١) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١٥٠.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص ٤٤٥.

٢- ومنها ما يتعلّق بثقافة الثوب

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله تعالى أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه، قل للمؤمنين: لا تلبسوا ملابس أعدائي**»[١].

تطبيقًا لذلك ورد أنَّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كان يلبس حذاءً، كما يلبس اليهود من حيث الشكل، فأمره الإمام عليه السلام بتعديلها.

بناءً على ما سلف فإنَّ على المؤمن أن يلتفت إلى الشعارات والكلمات التي تكتب على اللباس، فيجتنب ما يروّج لثقافة أعداء الدين كشعار عبّاد الشيطان، أو يروّج للفساد كشربِ الخمر، ونحو ذلك.

٣- ومنها ما يتعلّق بروحيّة اللابس، فيجتنب ما يكون ارتداؤه علامة على التكبُّر.

فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لبس ثوبًا يباهي به ليراه الناس، لم ينظر الله إليه حتى ينزعه**»[٢].

(١) السبزواري، محمد باقر، ذخيرة المعاد، (طبعة هجرية)، قم، مؤسس آل البيت لاحياء التراث (لا، ت)، ج١، ص ٢٢٨.

(٢) الطبراني، سليمان المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، (لا، ط)، بيروت، دار احياء التراث، (لا، ت)، ج٢٣، ص ٢٨٤.

٤- ومنها ما يتعلّق بالعفاف

وقد أفردنا له موضوعًا خاصًّا يأتي تحت عنوان «**الحجاب**».

ج- جمال التقوى

رغم اهتمام الإسلام بجمال الجسد والثياب، إلاّ أنّه دعا إلى إعطاء الأولويّة لجمال الداخل والباطن، معتبرًا أنّ التقوى هي أجمل لباس، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان**»[(١)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته التي جمعت درر البلاغة بالاختصار البديع:

- **الجمال الظاهر حسن الصورة**[(٢)].
- **الجمال الباطن حسن السريرة**[(٣)].

(١) الشهيد الثاني، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني، (لا، ط)، قم، بصيرتي، (لا، ت)، ص ١١٧.
(٢) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، (لا،م)، دار الحديث، (لا،ت)، ص ٤٥.
(٣) المصدر السابق نفسه.

- جمال الرجل حلمه[١].
- جمال الرجل الوقار[٢].
- جمال المؤمن ورعه[٣].
- جمال العبد الطاعة[٤].
- جمال الحر تجنّب العار[٥].
- جمال العيش القناعة[٦].
- جمال العالم عمله بعلمه[٧].
- لا جمال أحسن من العقل[٨].

وبمثل هذه الكلمات ورد أنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في حديثه عن الزينة:

«العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٢.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص ٤١٦.
(٦) المرجع السابق نفسه.
(٧) المرجع السابق نفسه.
(٨) المرجع السابق نفسه.

زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقلل زينة القناعة، وترك المنّ زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، وترك ما لا يعني زينة الورع»[١].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٨٠.

5

الحجاب

آمنّا بحكمة اللّه تعالى بالعقل فسألناه: لماذا خلقتنا أيُّها الحكيم؟ فكان الجواب: لأجل الكمال.

سألناه: كيف نتعرّف على كمالنا الحقيقي؟ فكان الجواب: من خلال الشريعة التي تمثّل خارطة الطريق نحو ذلك الكمال.

من هنا آمنّا أنّ في كلّ حكم شرعيٍّ حكمةً قد نعرفها، وقد نقاربها، وقد لا نستطيع ذلك إلاّ بعد حين.

انطلاقًا من ذلك نسأل عن حكمة تشريع من التشريعات الإسلاميّة الأساسيّة، وهو وجوب الحجاب، لماذا شرَّع اللّه تعالى الحجاب؟

يمكن لنا مقاربة هذه الحكمة من خلال عناوين منها:

١ - الحجاب حجب للإغواء وإظهار للكمال

كرّم الإسلام المرأة أيّما تكريم، فهي والرجل في مسار

الكمالات سواء، قال تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾[(١)].

وفي عناوينها المتنوعة أبرز لها الكرامة.

أ- فكرّمها ابنة، فعن النبيﷺ: **«من كانت له ابنة واحدة، كانت خيرًا له من ألف حجّة، وألف غزوة، وألف بُدنة، وألف ضيافة»**[(٢)].

وعنهﷺ: **«من دخل السوق، فاشترى تحفة، فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور»**[(٣)].

ب- وكرّمها أُمًّا: ففي جواب النبيﷺ لمن سأله: **«من أبرّ؟ قال ﷺ: أمّك. سأله ثمّ من؟ قالﷺ: أمّك. ثمّ سأله: ثمّ من؟ قالﷺ: أمّك. ثمّ سأله: ثمّ من؟ قالﷺ: أباك»**[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية١٩٥.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١١٥.

(٣) الصدوق، الأمالي، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، ط١، قم، ١٤١٧هـ، ص٦٧٣.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧١، ص٤٩.

ج- وكرّمها أختًا: فها هو رسول اللّه ﷺ حينما تأتيه «**الشيماء**» أخته في الرضاعة، يقوم ويفرش لها عباءته لتجلس عليها[١].

د- وكرّمها زوجة: فكان النبي ﷺ يقول: «**خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي**»[٢].

ويلخص الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ تكريم الإسلام للمرأة بقوله: «**إنّ للمرأة عظمة خاصّة في المجتمع حيث لو لم تكن أفضل من الرجال فإنّها ليست أقلّ مكانة منهم**» ويقول قُدِّسَ سِرُّهُ: «**إنّ الإسلام يريد أن يصنع من المرأة إنساناً كاملاً**».

انطلاقًا من مكانة المرأة هذه أراد اللّه تعالى أن يرسم لها طريق كمالها، كما أراد للرجل كذلك، ولأن الإنسان هو دائمًا أمام طريقين: طريق الكمال والعلو، وطريق النقص والسفل، كانت الشريعة هادية لطريق الكمال، محدّدة وسائل عبوره، حامية من الانزلاق في الطريق الآخر.

---

(١) الماوردي، علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مكة، دار التعاون، ١٩٦٦م، ص١٣٦.

(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٤٣.

المرأة أمام مسلكين:

الأول: أن تسلك بلا حجاب، فتخرج متبرّجة، مُظهرة محاسنها، جاذبة أنظار الرجال إليها.

والنتيجة ما يلي:

١- يكون تقديرها تقديرًا لظاهرها الجماليّ الذي سيذبل في زمن ما، وبالتالي يزول ذلك التقدير لتعيش المرأة مأساة ما فقدت. وبتعبير الإمام موسى الصدر «إنّ ذلك يقصّر عمر المرأة».

٢- تكون سببًا لانحراف أناس انجذبوا للظاهر، فانحرفوا عن كمالهم.

الثاني: أن تسلك بحجاب، والنتيجة هي:

١- أنّها تحجب ذلك الإغواء.

٢- أنّها تظهر في المجتمع كإنسان، يجذب الآخرين إنسانيّتُها التي تتقدم كلما تقدّمت في الزمن، فيكون العمر تطوّرًا في الكمال، لا انحدارًا في المسير.

فالحجاب حجب للإغواء، وإظهار للكمال الإنسانيّ.

٢- الحجاب حماية

حينما يقابل الإنسان ما يحرّك شهوته، فإنّ هذا قد يُضعف عقله، لتتغلّب عليه قوّة الشهوة، فيسير في طريق الانحدار، فيحصل التعدّي والأذى.

وحجاب المرأة هو تحصين لها من ذلك، من هنا قال اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾[1].

إن الإسلام ينظر إلى المرأة في إنسانيتها على أنها لؤلؤة لا بد من المحافظة عليها بحصانة الحجاب، وكما قال الشاعر:

سيري بمجدك تحت ظل عفاف وتجمّلي بمطارف الألطاف
ما الدرُّ وهو مجرّد عن حرزه بمقدّر كالدرّ في الأصداف

٣- الحجاب شعيرة

لقد اهتمّ اللّه تعالى بالباطن، لكن ليس على حساب الظاهر، بل أراد أن يكون الظاهر معبّرًا عن البعد الباطني

(١) سورة الأحزاب، الآية٥٩.

ومتلاقيًا معه في الهدف، من هنا قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

فالشعيرة هي العلامة الظاهرة الدالة على اللّه تعالى، والآية تدعو إلى تنظيم هذا الظاهر معتبرة أن ذلك يعتبر من تقوى الباطن؛ ليتلاقى الظاهر، مع الباطن في مسيرة الكمال.

فالكعبة الشريفة شعيرة، دعا اللّه إلى تعظيمها؛ وسيلة إلى التوحيد.

والقرآن الكريم شعيرة، عظّمه اللّه؛ وسيلة للتكامل نحوه.

واسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعيرة، قدّسه اللّه تعالى؛ وسيلةً لتأكيد العلاقة بسيّد بني البشر.

والحجاب أيضًا هو شعيرة تدلّ على العفّة، والحياء، والخلق، والدّين. إنّه شعيرة متحرّكة في المجتمع، داعية إلى اللّه تعالى. فمن نعم اللّه تعالى على المرأة تميّزها عن الرجل بالحجاب. فالشاب المسلم الملتزم قد يمشي

---

(١) سورة الحج، الآية٣٢.

في شوارع واشنطن أو باريس أو لندن من دون أن يعرف أحد هويته، بينما المرأة المسلمة حينما تظهر في المجتمع بحجابها، فهي من دون أن تتكلم تدعو إلـى اللّه تعالى بحجابها، فهي مبلّغة للدين والإسلام والقيم الإلهية دون حديث، فحجابها منبر للطهر والعفاف والإسلام الحنيف.

لقد فهم أعداء الإسلام خطورة هذه الشعائر.

- فحاربوا القرآن معتبرين إياه مصدرًا للإرهاب، وما زلنا نسمع كل حين هتكًا لهذا الكتاب المقدّس، تارة من القس «تيري جونز» وأخرى من جنود الاحتلال الأمريكي في العراق وأفغانستان، إلى غير ذلك.
- وحاربوا «محمداً ﷺ» اسمًا ورسمًا من خلال الكاريكاتير الهازئ تارةً، ومن خلال آيات شيطانيّة تارةً أخرى، إلى غير ذلك.
- وحاربوا المسجد، فمنعوا مآذنه في بعض البلدان كي لا تصدح باسم اللّه والإسلام.
- وحاربوا الحجاب، فمنعوه في بعض الدول، خوفًا من دعوته

إلى الإسلام، ودخلوا في حربهم الناعمة إلى مجتمعنا؛ ليسلبوا المرأة قوّتها وهويّتها الإسلامية، وخططهم في ذلك قديمة، يقول رئيس وزراء انكلترا الأسبق «غلاديستون»: «لن يستقيم حال الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة، ويغطّى به القرآن».

كلّ ذلك، لأن مشاريعهم تقتضي أن تكون المرأة في مجتمعنا:

١- سلعة لترويج اقتصاد الرأسماليين.

٢- ألعوبة بأيدي الرجال في قضاء شهواتهم.

٣- مصدرًا لإغواء الشباب كي ينحرفوا عن مسيرة تكامل مجتمعهم.

٤- بعيدة عن تكوين الأسرة التي بانحلالها تنحل قوة المجتمع.

لقد تنبّه بعض المستشرقين الإنسانيين إلى مخطّطات أعداء الإسلام، ونبّهوا النساء المسلمات إلى ذلك.

قالت الكاتبة الأمريكية «هيلسان ستانسبري»:

«إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخلق

بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول، فعندكم أخلاق موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأم والأب، وتحتم أكثر من ذلك هدم الإباحية الغربية التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب.. فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا».

- وقالت الدكتورة الألمانية «زيغريد هونكه»: «لا ينبغي للمرأة المسلمة أن تتّخذ المرأة الأوروبية أو الأمريكية قدوة تحتذيها؛ لأنها بذلك تُفقِد نفسها مقومات شخصيتها».

٤- الحجاب لباس السلوك إلى الله

- لأن الحجاب حجب للإغواء، وإظهار للكمال الإنساني،
- لأن الحجاب محصِّن للمرأة وحامٍ لها،
- لأن الحجاب شعيرة إلى الإسلام والطهر والعفاف،

أراد اللّه تعالى أن يكون الحجاب لباس المرأة في المجتمع، ولباس معراجها إلى اللّه تعالى في صلاتها، وطوافها حول بيته.

٥- الحجاب ستر من النار ومعبر إلى الجنة

ولأنه كذلك كان الحجاب حجابًا للمرأة وأهلها عن نار جهنم، ومعبرًا لدخول الجنة، ففي الحديث النبويّ: «**نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها اللّه سترًا من النار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله اللّه بهما الجنة...**»[(١)].

ويبقى اللباس الأفضل والأكمل والأجمل هو ما عبّر عنه تعالى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[(٢)].

سلام اللّه تعالى على إمامنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «**أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان**»[(٣)].

(١) الفتال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين، تحقيق محمد مهدي الخرسان، (لا،ط)، قم، منشورات الشريف الرضي، (لا،ت)، ص٣٦٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية٢٦.
(٣) الشهيد الثاني، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني، ص١١٧.

6

العلم

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾[1].

رفع الله تعالى منزلة العلم، فكانت أول آية «ٱقْرَأْ»[2]، ووصف الله تعالى نفسه بالأكرم؛ لأنه علَّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وتتالت الآيات تعطي قدسيةً للحرف «نٓ»، ويقسم الله فيها بالقلم وما يسطرون، وفي الآية السابقة جعل الله تعالى الرفعة والمكانة العظيمة لمن تحقق فيه عنوانان: الإيمان والعلم.

من هنا رفع رسول الله ﷺ في بداية دعوته شعار إلزامية التعلُّم، وأن العلم ليس من باب الأدب المستحب،

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٢) سورة العلق، الآية ١.

بل هو من الفرائض، فقد اشتهر عنه ﷺ: «**العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة**»[١]. وفي سيرة رسول اللّه ﷺ جعل فداء الأسرى تعليم الأميين القراءة والكتابة، وجعل مهر المرأة تعليمها آيات القرآن الكريم، وقد بيّن رسول اللّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام مكانة العلم وآثاره، فتحدَّثوا عن آثار دنيوية وأخروية.

الآثار الأخروية

نكتفي منها بما روي عن رسول اللّه ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى عتقاء اللّه من النار، فلينظر إلى المتعلّمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلّم يختلف[٢] إلى باب العالم إلا كتب اللّه له بكل قدم عبادة سنة، وبنى اللّه بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض، وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفورًا له، وشهدت الملائكة أنّهم عتقاء اللّه من النار**»[٣].

(١) الحر العاملي، الفوائد الطوسيّة، تحقيق مهدي اللازوردي ومحمد درودي، (لا، ط)، قم، المطبعة العلمية، ١٤٠٣ هـ، ص ٥٣١.
(٢) أي يتردَّد.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١، ص١٨٤.

الآثار الدنيوية

يمكن مقاربتها من خلال الحديث الوارد عن الإمام علي عليه السلام: «يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق»(١).

وفي حديث آخر بيّن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الضمانة لمن يفكّر في السلبية الدنيويّة للعلم؛ باعتبار أنّ طلب العلم يأخذ من وقت الإنسان، وبالتالي قد يؤثّر على رزقه، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من غدا في طلب العلم أظلّت عليه الملائكة، وبورك له في معيشته، ولم ينقص من رزقه»(٢).

إرشادات في التفاعل مع العلم

أرشد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام إلى الخطوات التي تُثبِّت العلم وتفعّله، فقد ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن حقّ العلم، فأجاب صلى الله عليه وآله وسلم: «الإنصات له»، **قيل له: ثم**

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٤.

مه؟ قال ﷺ: «**الاستماع له**»، قيل له: ثم مه؟ قال ﷺ: «**الحفظ له**»، **قيل له: ثم مه؟ قال** ﷺ: «**ثم العمل به**»، قيل له: ثم مه؟ **قال** ﷺ: «**ثم نشره**»[(١)].

وإضافة إلى:

١- الإنصات،

٢-والاستماع،

٣- والحفظ،

٤- والعمل،

٥-والنشر،

أكّد ﷺ على:

٦- الكتابة

عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «**قيّدوا العلم**». **قيل: وما تقييده؟ قال** ﷺ: «**كتابته**»[(٢)].

وفي مقام تشجيع كتابة العلم ورد عن النبي ﷺ: «**إن**

(١) المصدر السابق، ج٢، ٢٨.
(٢) المصدر السابق، ص١٥٢.

المؤمن إذا مات، وترك ورقة واحدة عليها علم، كانت الورقة سترًا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تعالى بكل حرف مدينة أوسع من الدنيا وما فيها»[(١)].

٧- المذاكرة

عن الرسول الأكرم ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه، واقتبسوه من أهله؛ فإنّ تعليمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح**»[(٢)].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**رحم الله عبدًا أحيى العلم**»، **فقيل: وما احياؤه؟ قال** عليه السلام: «**أن يذاكر به أهل الدين والورع**»[(٣)].

٨- السؤال

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنما يهلك الناس؛ لأنّهم لا يسألون**»[(٤)].

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، تحقيق رضا المختاري، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص٣٤١.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١، ص١٧١.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٠٦.
(٤) المصدر السابق، ج١، ١٩٨.

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العلم خزائن، والمفاتيح السؤال، فاسألوا يرحمكم الله؛ فإنّه يؤجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحبّ لهم»[١].

٩- مجالسة العلماء

عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «...من جلس عند العالم ساعة، ناداه الملك: جلست إلى عبدي، وعزتي وجلالي، لأسكننَّك الجنّة معه، ولا أبالي»[٢].

العلم المطلوب

أيّ علم هو صاحب هذه المكانة؟ وأي علم هذا الذي اهتم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالإرشاد إلى الخطوات التفصيلية لأجل تثبيته وتفعيله؟

قال الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ: «إذا ظننّا أن العلم، مهما كان، سببٌ للسعادة، فنحن على خطأ».

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٩٦.
(٢) الشهيد الثاني، زين الدين، منية المريد، ص٣٤١.

انطلق الإمام قدس سره في قوله هذا من الواقع الذي أضاءت عليه نصوص الإسلام العزيز التي تحدّث عن الشروط الأساسية للعلم صاحب المنزلة، وهي:

١ - أن يكون العلم نافعًا

في وصية الخضر عليه السلام للنبي موسى عليه السلام: «**واعلم أن قلبك وعاء، فانظر ماذا تحشو وعاءك**»[(١)].

ومن لطيف ما ورد في هذا الأمر قصة ذاك الرجل الذي رآه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، وقد أحاط به جماعة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما هذا؟**» فقيل: علاّمة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**وما العلامة؟**» فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب، ووقائعها، وأيّام الجاهلية والأشعار العربية، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من عمله**». ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سُنَّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل**»[(٢)].

(١) المصدر السابق، ص ١٤٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١، ٣٢.

إنّ هذا الحديث يضيء على العلوم المطلوبة من كلّ فرد، يضاف إليها العلوم المطلوبة على نحو الكفاية، بحيث يجب على بعض أفراد المجتمع أن يخوضوا غمارها، وإلا يأثم الجميع، وهذه العلوم هي التي يحتاج إليها المجتمع حاجة ضرورية، ويرتقي من خلالها الناس، وهي تدخل في دائرة العلوم الواجبة التي يتقرّب الطالب بدراستها إلى اللّه تعالى، كعلم الطبّ والهندسة وما شابه. وهنا يأتي دور توجّه الطلاب وتوجيههم نحو تلك العلوم؛ كي تحقّق الغرض، وتبتعد عن حصول تخمة في بعض الاختصاصات، وفقرٍ في بعضها الآخر.

٢- أن يكون العلم لأجل العمل

في وصية الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا موسى، تعلّم ما تعلم لتعمل به، ولا تعلّمه لِتحدّث به، فيكون عليه بوره، ويكون على غيره نوره**»[1].

(١) الشهيد الثاني، زين الدين، منية المريد، ص ١٤١.

قال الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ: «**العلم والالتزام بمنزلة الجناحين اللذين يمكّنان الإنسان مجتمعين من الوصول إلى مدارج الكمال**».

وكلّما كانت الغاية أسمى، كلّما كانت منزلة العلم أعلى وأرقى.

من هنا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من جاءه الموت، وهو يطلب العلم، ليحيي به الإسلام، كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة**»[١].

وإحياء الإسلام لا يكون فقط بالعلوم الدينية الاختصاصيّة، بل قد يحصل من خلال التطوير الإنتاجي للعلم الذي يجعل إسلام المجتمع غير مقيّد بقيود الظلم، ويجعل المجتمع الإسلامي في مقام جذب الآخرين إليه.

وما يحصل في إيران الإسلام هو مصداق لهذا الإحياء، وقد عبّر سماحة الإمام الخامنئي دام ظله عن هذه الحقيقة في قضية تخصيب اليورانيوم حينما قال: «**بعد سنوات**

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٨٤.

سوف ينضب النفط، وحينها ستكون الدول المستقلة غير التابعة منحصرة بالتي خصّبت اليورانيوم، أمَّا غيرها فإنّه سيتبع لها، لذا فإنّنا نصرّ على تخصيب اليورانيوم حتى لا تلعننا الأجيال القادمة».

٣- أن ينطلق العلم من التقوى

عن الرسول الأكرم ﷺ: «من تعلّم علمًا من علم الآخرة يريد به عرضاً من عرض الدينا لم يجد ريح الجنة»[١].

وعنه ﷺ: «ما ازداد عبد علمًا فازداد في الدنيا رغبة إلا ازداد من الله بعدًا»[٢].

قال الشاعر:

لو كان العلم من دون التقى شرفًا
لـكـان أشــرف خلـق اللّه إبليـس

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٣٣.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ص٣٨.

إنّ من يحقّق شروط العلم هذه سوف يصل إلى حقيقةٍ يعيشها الإنسان، ولكن يصعب عليه أن ينقلها في قوالب البراهين والأدلّة، وهي أنَّ اللّه تعالى هو الذي يفتح له أبواب العلم المغلقة ليرتقي بها في مدارج الكمال.

من هنا حينما حدّثنا اللّه تعالى عن رفعة الإنسان في الآية الكريمة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾[1]، ذكر عنوانين هما الإيمان والعلم، لكنه عزّ وجل قال في العنوان الأول: «**آمنوا**»؛ لأن الإيمان هو فعل ينطلق من الإنسان، لكنه في العنوان الثاني لم يقل «**علموا**»، بل قال «**أوتوا العلم**»؛ لأنَّ اللّه تعالى هو الذي يفتح للإنسان أبواب العلوم والمعارف فيؤتيه ما لم يعلم.

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

7

العلماء

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]

خلق اللّه الخلق كلاً لأجل كماله، وكمال الخلق يتحقّق بإحدى وسيلتين:

الأولى: وسيلة قهرّية جبريّة من اللّه تعالى، على قاعدة ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[٢]، ككمال الأرض والسماء وما فيهما: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[٣].

الثانية: وسيلة اختيارية من خلالها يحقّق المخلوق المختار كماله، وهي الوسيلة الأرقى لكمال المخلوق،

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٧.

(٣) سورة يس، الآية٣٨.

وقاعدتها أن يبيِّن اللّه تعالى طريق الكمال ويرشد إليه، والمفلح هو الذي يهتدي إلى هذه الطريق ويسير فيها.

أمَّا مصباح الهداية فقد اعتمد اللّه تعالى فيه على عنصرين هما: الرسالة والإنسان، فكانت الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي الهداية إلى هذه الطريق ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾[١]. أمّا الإنسان فيتمثّل بالنبي ﷺ والولي والعالم.

لذا أمر اللّه تعالى أن يقتدي الإنسان بهدى الأنبياء عليهم السلام ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[٢].

ولذا أمر اللّه تعالى أن يقتدي الإنسان بالهداة الميامين من أئمة الدين والإسلام، فعن الرسول الأكرم ﷺ:

«إن مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[٣].

«إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[٤]

(١) سورة البقرة، الآية٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١١٩.
(٤) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، ج٤، ص ٥٢.

ومن هنا أمر اللّه تعالى الناس أن يتوجّهوا إلى العلماء الذين يهدون إلى كمال الإنسان، فعن النبيّ ﷺ: «**من أحبّ أن ينظر إلى عتقاء اللّه من النار، فلينظر إلى المتعلّمين، فوالذي نفسي بيده، ما من متعلّم يختلف إلى باب العالم، إلا كتب اللّه له بكلّ قدم عبادة سنة، وبنى اللّه بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفورًا له، وشهدت الملائكة أنّهم عتقاء اللّه من النار**»[1].

ولأنّهم الهداة إلى الكمال الإنساني المقرّب من اللّه تعالى، رفع اللّه عزّ وجلّ منزلة العلماء ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[2].

وتحدَّث النبيّ ﷺ عن رفعتهم بقوله الوارد عنه ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إنّ اللّه وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١، ص ١٨٤.
(٢) سورة المجادلة، الآية١١.

جحرها، وحتى الحوت في الماء، ليُصلّون على معلم الناس الخير»[١].

وعن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد»**[٢].

وعن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»**[٣].

وحثَّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على التوجّه إلى العلماء قائلاً - فيما ورد عنه: **«من جلس عند العالم ساعة، ناداه المَلك: جلست إلى عبدي وعزّتي وجلالي، لأسكننّك الجنّة، ولا أبالي»**[٤].

وأرشد الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أثر سلبي كبير يترتّب على ترك مجالسة العلماء في دعاء أبي حمزة الثمالي بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«ما لي كلّما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب**

---

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص ١٠١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٩.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص ٣٣.
(٤) الشهيد الثاني، منية المريد، ص ٣٤١.

من مجالس التوّابين مجلسي، عَرَضَت لي بليّة أزالت قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك».ويشرع الإمام عليه السلام بعدها في تعداد الأمور التي قد تكون أسبابًا لهذه الحالة فيقول عليه السلام : «سيدي،

١-لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحَّيتني،

٢- أو لعلّك رأيتني مستخفًا بحقّك، فأقصيتني،

٣- أو لعلّك رأيتني معرضًا عنك، فقليتني،

٤- أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين، فرفضتني،

٥- أو لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك، فحرمتني،

٦- أو لعلّك من مجالس العلماء، فقدتني ...»[١].

إنّ خلفيّة ما تقدّم من مكانةٍ للعلماء هو دورهم الذي يتعلّق بهداية الناس إلى الله تعالى. وهذا ما أكّده الإمام الهادي عليه السلام بقوله الوارد عنه: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدّالين عليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد

(١) الطوسي، مصباح المتهجد، ط١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٩٩١م، ص ٥٨٨.

الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتدَّ عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ»[(١)].

لأنّ دور الأنبياء والعلماء الأساس هو هداية الناس والمجتمع الإنساني إلى الكمال، ولأنّ الشفاعة يوم القيامة تمثِّل تجليًّا لهداية الهادين واهتداء المهتدين، فيشفع الهادون للمهتدين يوم القيامة، فقد ورد عن النبي ﷺ: **«ثلاثة يشفعون الى الله يوم القيامة، فيشفعهم: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثم الشهداء»**[(٢)].

أمّا الأنبياء، فتتجلى أرقى شفاعة فيهم بشفاعة سيّدهم محمد ﷺ، الذي ورد أنه ينادي يوم القيامة بطلب من اللّه تعالى: **«أمتي أمتي»**[(٣)].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ص .

(٢) الحميري، عبد اللّه، قرب الاسناد، ط١، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٣ هـ، ص ٦٤.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ٣١٢.

أمّا العلماء، فرأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين يُضيء يوم القيامة من نور شفاعتهم؛ حيث يكون أمير المؤمنين عليه السلام يعسوبَ الدين وقسيمَ الجنّة والنار.

أمّا علماء شيعتهم، فقد ورد فيهم عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «يأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبّينا وأهل ولايتنا يوم القيامة، والأنوار تسطع من تيجانهم على رأس كلّ واحد منهم تاج بهاء، قد انبثَّت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلّها، فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه، ومن ظلمة الجهل علَّموه، ومن حيرة التيه أخرجوه، إلاّ تعلّق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلوّ حتى تحاذي بهم فوق الجنان...»[١].

---

(١) الطبرسي، أحمد، الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، (لا، ط)، النجف، دار النعمان، ١٩٦٦م، ج١، ص ١٠.

أمّا الشهداء، فلأنّهم يهدون الناس والأمّة إلى طريق الهدى والحقّ، لكن لا بكتبهم، ولا بخطبهم، بل بدمائهم، لذا كانوا من الشفعاء يوم القيامة.

8

القداسة

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[١].

من صفات اللّه تعالى أنّه كمال مطلق، فكلّ ما فيه هو كمال، فلا يوجد فيه نقص، ولا عيب، ولا حاجة، فهو قدّوس، أي منزَّه من كلّ نقص وحاجة.

ومن الصفات الكمالية للّه هو حبُّ الكمال، ومن أحبَّ الكمال أحبَّ أن يظهره، لذا خلق اللّه عزّ وجلّ الخلقَ، لكي يظهر الكمال في عالم الوجود.

وهذا ما يفسِّر الحديث القدسي عن اللّه تعالى: **«كنتُ كنزًا مخفياً، فأحببتُ أن أُعرف فخلقت الخلقَ لأُعرف»**[٢].

(١) سورة الجمعة، الآية١.

(٢) المازندراني، محمد، شرح أصول الكافي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٤.

ومن بين خلق اللّه تعالى أراد اللّه أن يتحقق الكمال الاختياري؛ لتنعكس فيه تلك القداسة، فعرض هذا النحو من الكمال (أي الاختياري) على الكائنات المخلوقة، فأبى بعضها ذلك متخوّفًا مشفقًا إلاّ نوعًا من كائناته قَبِلَ أمانة الاختيار والسير بالإرادة في طريق الكمال، وهذا ما نقرأه في كتاب اللّه تعالى بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[١].

لأنَّ الإنسان اختار أمانة المسير الكمالي الاختياري رفع اللّه تعالى من شأنه على جميع الكائنات إن أحسن، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كلتيهما، فمن غلب عقلُهُ شهوَتَهُ، فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلب شهوتُهُ عقلَهُ، فهو شرٌّ من البهائم»[٢].

(١) سورة الأحزاب، الآية٧٢.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،١٩٨٣، ج٥٧، ص ٢٩٩.

قداسة الأصفياء وبركتهم

رفع اللّه تعالى شأن هذا الإنسان الذي خرج من دائرة الظلوم الجهول إلى رحاب الاعتدال والعلم، فأعطاه من صفة القداسة بما يناسب عالم الإمكان.

وبما أنَّ القداسة هي التنزيه من العيوب والنقائص، فهي منبع النور والبركة والخير.

وهذا ما أوضحه الكتاب العزيز في أنبياء اللّه الذين هم في رأس هرم الإنسانيَّة، فقال تعالى وهو يتحدّث عن النبي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [١].

كان من بركته عَلَيْهِ السَّلَامُ أن لمسة يده تشفي المريض وتحيي الميت.

وهكذا كانت بركة الأولياء، فالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ سُمّي خضرًا؛ لأنّه كان مباركًا حيث كان يخضرّ كلُّ ما جلس عليه.

وهكذا كانت بركة الأوصياء، فها هو خادم الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول عنه: إذا نام سيدي أبو محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ رأيتُ نورًا ساطعًا من رأسه إلى السماء.

(١) سورة مريم، الآية٣١.

وتجلّت تلك القداسة، وهذه البركة بأعلى مرتبة في سيد بني البشر خاتم النبيين وأعزّ المرسلين محمد بن عبد اللّه ﷺ فكانت قداسته وبركته الإنسانية مضمونًا وشكلًا.

- ففي المضمون: رفع اللّه تعالى عذاب الأمم السابقة ببركة وجوده

فقد عصى قومُ نوح نبيَّهم فأهلكهم اللّه بالطوفان،

وقد عصى قوم هود نبيَّهم فأبادهم اللّه بريح صرصر،

وقد عصى قوم صالح نبيَّهم فأماتهم اللّه بالصَّيْحَة،

وقد عصى قوم لوط نبيَّهم فقلب اللّه عليهم المدينة،

أما بعد رسول اللّه محمد ﷺ، فلم تنته المعاصي، لكنّ سنَّة العقاب الدنيوي هذه توقّفت ببركة قداسة محمد ﷺ على ما ورد عن ابن عباس، قال (رض): «**كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به، وصدَّق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق**»[١].

(١) القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، (لا، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ج١١، ص٣٥٠.

- وفي الشكل: قدَّس اللّه اسم محمد ﷺ جزءًا من أذان الصلاة وإقامتها، وفي الحِبر المتشكِّل منه، فلا يمسّ احتياطًا دون طهارة، وفي المسمّى به من الأبناء؛ فعن صاحب الاسم المقدَّس: «**بورك بيت فيه محمد، ومجلس فيه محمد، ورفقة فيها محمد**»[(١)].

وكما ورد عن أهل بيته عليهم السلام: «**البيت الذي فيه محمد يصبح أهله بخير، ويمسون بخير**»[(٢)].

قداسة القرآن وبركته

وبين قداسة اللّه تعالى وتجلّيها في عبده محمد ﷺ قدَّس اللّه تعالى وبارك كتابَهُ المنزل على محمد ﷺ رسالةً لكمال الإنسانية.

ففي المسّ: لا يمسّ القرآن إلاّ المطهّرون، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[(٣)].

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٣٠.
(٢) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، ج٢١، ص٣٩٤.
(٣) سورة الواقعة، الآية ٧٩.

وفي النظر إليه: غفران الذنوب للوالدين ولو كانا كافرين، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفّف عن والديه وإن كانا كافرين»[1].

وفي القراءة فيه: علوّ المقام يوم القيامة فـ «كلما قرأ آية رقي درجة»[2].

وفي حفظه أكبر نعمة: فإنّ من ظنّ أن هناك نعمة أفضل منها فقد غمط أفضل النعمة، ففي الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعطاه الله حفظ كتابه، فظن أنَّ أحدًا أُعطي أفضل مما أعطي، فقد غمط[3] أفضل النعمة»[4].

قداسة المسجد وبركته

إضافةً إلى تقديس الله تعالى لمن تجلَّت فيه كمالاته،

(١) الكليني، محمد، الكافي، ج٢، ص٦١٣.
(٢) الصدوق، الأمالي، ص٤٤١.
(٣) غمط النعمة: احتقرها (انظر: ابن زكريا، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (لا،ط)، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ، ج٤، ص٣٩٦).
(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٢.

قدّس تعالى المكان المنتسب إليه، فكانت قداسة وبركة المسجد.

- فالمسير إليه جالب للحسنات ودافع للسيئات، بل **«من مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلاّ سبّحت له الأرض إلى الأرض السابعة»**(١).

- والجلوس فيه مصدر البركة الربانية، فعن النبيﷺ لأبي ذرّ: **«يا أبا ذر إن الله يعطيك ما دمت جالسًا في المسجد بكل نفس فيه درجة في الجنة، وتصلي عليك الملائكة، ويكتب لك بكل نفس تنفسته فيه عشر حسنات، ويمحى عنك عشر سيئات»**(٢).

- والصلاة في الجامع من المساجد بمئة صلاة(٣).

ولانضمام قداسة المسجد إلى قداسة الأنبياء الذين فيه عبدوا الله تعالى، ومنه انطلقوا في دعوتهم، ولقداسة

(١) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان، ط٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ش، ج٣، ص ٢٥٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٤.
(٣) الشهيد الثاني، زين الدين، حاشية شرائع الإسلام، تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، قم، بوستان كتاب قم، ١٤٢٢هـ، ص١٣٧.

الأوصياء الذين بآخرهم يتحقّق هدف اللّه، انطلاقًا من المسجد، لكلّ ما تقدَّم كانت الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، وتلاه في الفضل المسجد النبويّ، فكانت الصلاة فيه بعشرة آلاف صلاة[١].

ولمّا كان المسجد غاية إسراء خاتم النبيين ﷺ، ومصلّاه إمامًا في الأنبياء، ومنطلقًا لعروجه في قداسته تمتدّ البركة إلى محيطه، فـ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾.

تعظيم المقدّس المبارك

إنّ هذه القداسة والبركة النابعة من السير الاختياريّ نحو اللّه تعالى، والنسبة الخاصة إليه عزّ وجلّ جعلت المقدَّس المبارك في ظهوره النوراني من شعائر اللّه التي أراد اللّه للمسلمين أن يُعظّموها ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢ ﴾[٢].

---

(١) الشهيد الأول، محمد بن مكي، البيان، تحقيق محمد الحسون، ط١، قم، محقّق، ١٤١٢هـ، ص١٣٦.

(٢) سورة الحج، الآية٣٢.

لذا تأدّب المسلمون:

- أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبيﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[1].
- وأن يتوسلوا به في استغفارهم ربَّهم
- وأن يتباركوا بمرقده الشريف
- وأن لا يلمسوا اسمه المبارك دون طهارة
- وأن يصلوا عليه كلما ذكر اسمه المقدّسﷺ.

وتأدّب المسلمون:

- أن يقبِّلوا المصحف حين لمسه
- وأن لا يلمسوه دون طهارة
- وأن لا يتلوه على حدث
- وأن يحترموا صفحاته، صحفة صفحة، فيبعدوا عنها النار والقذارة

(١) سورة الحجرات، الآية٢.

- وأن يهيؤا له موضعًا ملائمًا لركونه.

وتأدّب المسلمون:

- أن لا يدخلوا المسجد على جنابة
- وأن يخلعوا أحذيتهم قبل الدخول
- وأن يُحيّوه بصلاة التحية
- وأن يتزيّنوا لدخوله، ويتأنّقوا للصلاة فيه.

الصهاينة والمقدّس

مقابل القداسة والبركة التي يؤمن بها المسلمون أسقط اليهود الصهاينة القداسة أولاً من اللّه تعالى، «**فاللّه عندهم يلعب في ثلث النهار مع الحوت ملك الأسماء**»، و«**حينما يواجه معضلة لا يمكن أن يحلّها في السماء.. فإنه يستشير الحاخامات في الأرض..**»[(١)].

وأسقطوا القداسة عن التوراة المنزّلة من اللّه على نبيّهم، فحرّفوها، كما اعتبروا الإنجيل كتابًا مملوءًا بالإثم[(٢)].

(١) الخطيب، محمد نمز، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، (لا،ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا،ت)، ص١٦.

(٢) منعم، طانيوس، خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام، (لا،ط)، بيروت، ص٥٣.

وأسقطوا القداسة من الأنبياء، فقتلوهم وشوّهوا تاريخهم. واعتبروا المسيح - والعياذ بالله - غشاش بني إسرائيل، وهو موجود في الجحيم بين الزفت والقطران والنار[١].

واعتبروا كنائس المسيحيين قاذورات[٢].

لقد اعتبر اليهود الصهاينة، تاريخيًا، أن من وظائفهم الأساسية هو إسقاط مقدّسات الآخرين، واعتمدوا لذلك أساليب نقرأها في تلك الرسالة التي أجاب فيها حاخام القسطنطينية الأكبر على سؤال حاخام إسبانيا حينما تعرّض اليهود فيها للطرد والاضطهاد، ففي تلك الرسالة:

«يا أبناء موسى الأعزّاء، لقد تسلّمنا خطابكم. إنّ نصيحة الحاخامات والأحياء هي ما يلي:

١- فيما يتعلق بما تقولونه من أن ملك إسبانيا يضطركم إلى اعتناق المسيحية، افعلوا ذلك ما دمتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا آخر.

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون،ط١، دمشق، طلاس، دار الفنون، ١٩٨٩م، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

٢- فيما يتعلق بتجريدكم من أملاككم، اجعلوا أولادكم تجارًا حتى يجرِّدوا المسيحيين أملاكهم شيئًا فشيئًا.

٣- فيما يتعلق بمحاولات قتلكم، اجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة لعلهم يقتلون المسيحيين.

٤- فيما يتعلق بهدم معابدكم، اجعلوا أبناءكم كهنة وإكليريكيين لعلهم يهدمون كنائسهم.

٥- فيما يتعلق بالمضايقات الكثيرة الأخرى التي تشكون منها، رتّبوا أموركم بحيث يصبح أبناؤكم محامين، واعملوا على أن يتّصلوا بشؤون الدولة ويتولَّوا مناصبها دائمًا. وبوصفكم المسيحيين تحت حكمهم قد تحكمون العالم وتنتقمون منهم.

ولا تنحرفوا عن هذا النظام الذي نعطيه لكم؛ لأنكم ستجدون بالتجربة أنكم على الرغم مما أنتم عليه من مهانة، فتصلوا إلى القوة الحقيقية»[١].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٤.

لقد كان ذلك منشأ لظهور اتجاه صهيوني لم يقتصر فقط على اليهود، وقد ظهرت نتاجاته المنبثقة مما تقدَّم في الفكر الصهيوني، منها:

- فيلم هوليودي يشوّه صورة السيد المسيح وأمّه العذراء.
- قصة تشوّه صورة رسول اللّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ألفها سلمان رشدي الذي كرَّمته ملكة بريطانيا على إنجازاته.
- رسومات كاريكاتيرية تشوه من صورة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.
- قوانين أوروبية تمنع مآذن المساجد في إسبانيا.
- قوانين أوروبية تتعلق بمنع الحجاب.
- محاولات عديدة لتشويه وتدنيس القرآن الكريم مضمونًا وشكلاً، سواء بحمله على شاشات التلفزة الأمريكية، والإعلان أنّه كتاب الإرهاب، أو بتمزيقه في مسيرات عامة أمام الكاميرات، أو بحملة ذلك القسّ المعتوه «تيري جونز» لإحراق المصحف.

لكن وكما قال الإمام الخامنئي دام ظله: «إن ما حصل ناشئ من حقيقة أن الإسلام منذ عقود وحتى اليوم قد أخذ يشعّ أكثر من ذي قبل، وإن الإهانة إلى القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم تحمل في طياتها بأن شمس القرآن المشعة تعلو وتسطع أكثر يومًا بعد يوم».

9

العزَّة

قال اللّه تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾[١]

العزّة هي حالة مانعةٌ لصاحبها من أن يُغلَب[٢]، فالإنسان العزيز هو من فيه خاصّةٌ تمنع أن يغلبه الآخرون.

وبما أنّ هذه الدنيا هي دار تزاحم، ودفعٌ من البعض للبعض، فمن الطبيعي أن يسعى كلّ إنسان لكي يكون عزيزًا، تمنعه العزّة من أن يتغلب عليه الآخرون.

ففي أيّ اتجاه يسعى الناس لتحصيل العزّة؟

هناك عدّة اتجاهات، منها:

١- المال

من الناس من يعتقد أنّ المال يصنع عزّة الإنسان.

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٢) أنظر: الزبيدي، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ، ج٨، ص١٠٠.

٢- العشيرة

ومن الناس من يعتقد أنّ العشيرة والعائلة تصنع عزّتهم.

٣- السلطة

ومنهم من يعتقد أنّ السلطان والتقوّي به يصنع العزّة، بل إنّ بعضهم يلتجئ إلى صاحب السلطة، حتى لو كان يخالف مبادئه؛ لأجل تحصيل العزَّة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[١].

العزّة في الإسلام

أكّد الإسلام على أهمية صفة العزّة، فرفض في العديد من النصوص أن يعيش الإنسان ذليلاً أمام الآخرين، بل رفض أن يُقدِم على ذلّ نفسه، فقد ورد في الحديث عن أبي عبد اللّه عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن

(١) سورة النساء، الآية١٣٩.

أموره كلّها، ولم يفوّض إليه أن يذل نفسه»[١]، إلا أنّ الإسلام أكّد على اتجاه واحد لن يجد الإنسان العزَّة إلاّ فيه، وأن كل اتجاه إلى غيره هو وهم وباطل، فمن أراد العزّة الحقيقية التي تدوم، ولا تنقطع، فإن القرآن حدّد اتجاهها بقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[٢].

والعلَّة في هذا أنّ اللّه تعالى هو وحده يَقهر من أراد، ولا يمكن أن يُقهَر من أيّ أحد، فهو عزَّ وجل وحده من يَذُلُّ، ولا يمكن أن يذلّه أحد.

وفي قضيّة العزّة لا يوجد تبعيض وتجزئة، فإنّ كل عزّة تطلب من غير اللّه تعالى هي وهم وباطل.

هذا هو العنوان العريض لتحديد اتجاه العزّة.

لكن كيف نفهم ذلك في ساحة العمل وميدان التطبيق؟

لقد طرح الإسلام الاتجاه العام للعزّة في عدة صياغات منها:

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥، ص٦٣.
(٢) سورة فاطر، الآية ١٠.

١- **التقوى**: فعن النبي ﷺ: «**من أراد أن يكون أعزّ الناس فليتقِ الله**»[١].

٢- **العبودية**: فعن الإمام علي عليه السلام: «**إلهي، كفى بي عزًّا أن أكون لك عبدًا، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًّاَ**»[٢].

٣- **طاعة الله تعالى**: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أراد عزًّا بلا عشيرة، وغنًى بلا مال، وهيبةً بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية الله إلى عزّ طاعته**»[٣].

وفي الحديث القدسي: «**يا داود، إني وضعت...العزّ في طاعتي، وهم يطلبونه في خدمة السلطان، فلا يجدونه**»[٤].

أمور تطبيقية لتحقيق العزّة بالتقوى

أرشد الإسلام إلى طرق عديدة لتحقيق العزّة، وهي ما يمكن عرضه من خلال عنوانين:

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٨٥.
(٢) المصدرالسابق، ج٧٤، ص٤٠٠.
(٣) المصدر السابق، ج٦٨، ص١٧٨.
(٤) المصدر السابق، ج٧٥، ص٤٥٣.

الأول: عزة الفرد، والثاني: عزة المجتمع.

عزّة الفرد

وهي تتحقق من خلال الآتي:

١-كفُّ الأذى عن الناس

كثيرًا من الأحيان يعرّض الإنسان نفسه للذلّ؛ لأنّه يؤذي الناس، فيؤذونه، ويذلّونه، من هنا فإنّ كفّ الأذى عن الناس يجعل عند الإنسان ممانعة وحصانة وقوّة؛ لأنه يُفقِد الآخرين مبرّرات إذلاله. من هنا ورد في الحديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه كفّ الأذى عن الناس**»[1].

٢- ترك القيل والقال

كما أنه كثيرًا ما يعرّض الإنسان نفسه للذلّ نتيجة أخطاء لسانه، وتناول الناس بشكل سلبيّ، مما يعرِّضه للمشاكل وبالتالي للمذلّة، من هنا ورد عن الإمام أبي

(١) المصدر السابق، ج٧٢، ص٥٢.

الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «احفظ لسانك تعزّ»(١).

وعن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «...وعزُّه [أي المؤمن] ترك القال والقيل»(٢).

٣- الحلم والعفو

حينما يخطئ الآخر، كيف ينبغي مواجهته؟

في الكثير من الحالات نلاحظ أن المقابلة بالسوء توجب الشحن والاحتقان، وبالتالي ردّات فعل سلبية، مما قد يعرّض الإنسان للذلّ، بينما حينما تكون المقابلة بالحلم والعفو، فإنّ ذلك يوجب تحصين الإنسان وسلامته، ومن هنا ورد في الحديث: «لا عزّ أرفع من الحلم»(٣).

وعن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من عفا عن مظلمةٍ أبدله الله عزًّا في الدنيا والآخرة»(٤).

---

(١) المصدر السابق، ج٦٨، ص٢٩٦.
(٢) المصدر السابق، ج٧٤، ص٢٦٨.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٨، ١٩.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ، ص١٨٢.

٤- القبول بالحقّ كيفما كان

إنَّ بعض الناس لا يقبل بالحق حينما يشعر أنّه لا ينسجم مع مصلحته، وهذا من الأمور التي تؤدي إلى المشاكل الاجتماعية، وتباغض الناس مع بعضهم البعض، مما قد يؤدّي إلى مذلّةِ مَنْ لم يقبل الحق، بينما حينما يقبلُ الإنسان الحقّ حتى لو كان على حسابه، وحتى لو شعر بأن فيه نوعًا من الذلّ، فإنّ الناس سينظرون إليه على أنه صاحب كرامة وشرف، وبالتالي سيكون عندهم عزيزًا، لذا ورد في الحديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العزّ أن تذلّ للحق إذا لزمك»[1].

٥- القناعة

عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «القناعة تؤدّي إلى العزّ»[2].

فكم من شخص ذلّ نفسه؛ لأنّه تطِّلع إلى ما في أيدي الناس، ولم يقنع بما قسم اللّه له من رزق.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٢٨.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، ج٣، ص ١٩٦٠.

وكم من الناس عاش عزيزًا مع قلّة ذات يده؛ لأنه اقتنع بما أنعم اللّه تعالى عليه، فكانت قناعته سببًا في عروجه التكامليّ بين يدي اللّه تعالى.

ورد عن الإمام الصادقعَلَيْهِ السَّلَامُ: «من وصايا لقمان لابنه: إنْ أردت أن تجمع عزّ الدنيا، فاقطع طمعك مما في أيدي الناس، فإنّما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا بقطع طمعهم»[(١)].

عزّة المجتمع

طرح أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عنوانين لعزّة الأمة.

الأول: «الجهاد»: فعن الإمام عليعَلَيْهِ السَّلَامُ: «فرض اللّه الجهاد عزًّا للإسلام».

الثاني: «طاعة الوليّ الشرعيّ»: فعن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طاعة ولاة الأمر تمام العزّ»[(٢)].

ونحن في لبنان اختبرنا هذين العنوانين، فأطعنا

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٩٥٨.

وليّ الأمر في بداية الاحتلال حينما حدّد تكليفنا بجهاد العدو الإسرائيلي الغاصب، فنلنا العزّة والكرامة، ورأينا سلوك الآخرين، فعلمنا، بشكل أوضح، معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾[(١)].

سلام اللّه تعالى على أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم، وإن لم تحبّوا تركها... فلا تنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها...؛ فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع»[(٢)].

(١) سورة النساء، الآية١٣٩.
(٢) الإمام علي، نهج البلاغة، ج١، ص ١٩١.

10

الأمل

قال اللّٰه تعالى: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾[1]

الأمل الإيجابي

الأمل مفهوم يتعلّق بالمستقبل إمّا الأخروي أو الدنيوي.

فإن تعلّق بالآخرة، فهو يدعو إلى الإصلاح والتطوير، فالأمل برحمة اللّٰه تعالى يدعو إلى العمل، بينما اليأس من رحمة اللّٰه يعطِّل الحياة، لذا كان هذا اليأس من كبائر الذنوب.

والأمل المطلوب في رحمة اللّٰه يجب أن لا يوصل إلى الركون والأمن بحيث لا يخاف عمله، فإنّه يعطِّل التطوّر والتكامل أيضًا.

(١) سورة الحجر، الآية: ٣.

وإن تعلّق بالمستقبل الدنيوي، فهو أيضًا ضروريّ لاستمرار الحياة، بل هو وقودها، فبدون أمل بالمستقبل لا أتعلَّم ولا أتزوج ولا أعمل... لذا ورد عن النبي ﷺ: **«الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما أرضعت أمّ ولدها، ولا غرس غارس شجرًا»**(١)

قصّة معبِّرة

رأى النبي عيسى عليه السلام شيخًا يعمل بمسحاة يثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: **«اللهم انزع منه الأمل»** فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة، فقال النبي عيسى عليه السلام: **«اللهم اردد إليه الأمل»** فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك، فأجاب الشيخ: بينما أنا أعمل، إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل، وأنت شيخ كبير؟! فألقيتُ المسحاة، واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: واللّه لا بدَّ لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي(٢).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٧٣.
(٢) المرجع السابق، ج١٤، ص ٣٢٩.

قال الشاعر:

أعـلّـل الـنـفـس بـالآمـال أرقـبـهـا

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل[١]

الأمل المخادع

يميّز الإمام زين العابدين عليه السلام بين الآمال في دعائه: «اللهم ربَّ العالمين... أسألك من الآمال أوفقها»

وقد قال عليه السلام «أوفقها»؛ لأن هناك نوعًا من الآمال يدخل في الدائرة السلبية حينما يمنّي الإنسان نفسه أن يطول عمره في الدنيا، فيبعده ذلك عن التفكير في الآخرة، وهذا ما يفقده ذلك التوازن الذي عبَّر عنه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»[٢]، وبالتالي فإنَّ طول هذا الأمل يؤدّي إلى سوء عمل الإنسان، وهذا ما أرشد إليه

(١) الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، ط٢، دار التعارف، بيروت، ١٤١٨هـ، ج١، ص ٢١٥.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص ٣٥.

أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «من طال أمله ساء عمله»[(١)].

وهذا الأمل هو الذي حذّرت منه الآية ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾[(٢)]، وهو أيضًا الذي وصفه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله الوارد عنه: «يهرم ابن آدم ويشبّ فيه اثنتان: الحرص وطول الأمل»[(٣)].

قصّة لطيفة

روي أنّ هارون (الملقّب بالرشيد) طلب يومًا أن يسمع حديثًا من شخص أدرك رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فجيء له برجل عجوز متداعٍ متهالك في غاية الضعف والوهن ولم يبق منه إلا الأنفاس في كومة عظام بالية. وقد وضعوه في زنبيل[(٤)]، وأتوا به إلى بلاط هارون في غاية العناية، وأدخلوه عليه فورًا؛ حتّى لا يفقد الحياة قبل اللقاء.

(١) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، ٤٥٣.
(٢) سورة الحجر، الآية ٣.
(٣) أبو الفتح، الكراجكي، معدن الجواهر،ط٢، مهر استوار، قم، (لا،ت)، ص ٢٥.
(٤) الزبيل والزنبيل : الجراب، وقيل الوعاء يحمل فيه (ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ١١، ص ٣٠٠).

سُرَّ هارون، وسأله: أيّها العجوز، أرأيت النبيّ الأكرم ؟

قال: بلى.

قال هارون: متى رأيته ؟

قال: أخذ أبي بيدي يومًا في طفولتي، واصطحبني إلى رسول اللّه ﷺ، ثم لم أدرك محضره حتّى رحل عن الدنيا.

قال هارون: أسمعت من رسول اللّه ﷺ شيئًا ذلك اليوم؟

قال: بلى، سمعت من رسول اللّه ذلك اليوم أنّه قال: **«يشيب ابن آدم، وتشيب معه خصلتان :الحرص وطول الأمل»**[1].

فسُرّ هارون وأمر بإعطائه كيسًا من ذهب.

وحينما أخرجوه رفع صوته في أنين واهن ضعيف: **«ردّوني إلى هارون، فلديّ معه كلام»**.

قالوا: لا مجال لك في ذلك، فأصرّ، فأرجعوه.

قال لهارون: لديَّ سؤال، فقال له: قل.

(١) المرجع السابق نفسه..

قال العجوز: أيّها السلطان، عطاؤك الذي تفضّلت به عليّ اليوم لهذه السنة فقط، أم هو عطاء يتجدَّد كلّ عام؟

فضحك هارون وقال: صدق رسول اللّه: «يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»[1].

طول الأمل

إنّ طول الأمل هو مصطلح للأمل الذي يقود الإنسان بعد أن يضعف العقل في دفّة القيادة، وبالتالي يكون قائده الهوى، بدل العقل، وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في دعائه: «... وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى، فمن المقيل عثراتي من كبوات الهوى؟»[2].

إنّ قيادة الأمل هذه تمنّي الإنسان بسعادة موهومة تمنعه من التكامل، وتنحو به نحو التسافل، فتوسوس له:

اسرق، فستعيش بعد ذلك مرتاحًا بقية حياتك.

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،ج٨٤، ص ٣٤٠.

لا تعطِ مالاً للفقراء؛ لأنك ستعيش طويلاً، وقد تحتاج إلى المال أكثر من غيرك.

غُشَّ الناس، فإنّ فائدة ذلك ستعود عليك في مستقبلك، دون أن يشعر أحد بذلك...

إنّها قيادة الأمل الذي كان يستعيذ منه الإمام الصادق عليه السلام في دعاء عرفة بقوله: «**أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، ومن حياةٍ تمنع خير الممات، ومن أمل يمنع خير العمل**»[(١)]

آثار طول الأمل

إنّ طول الأمل من خلال قيادته بدل العقل، له آثار حذّر منها الإمام علي عليه السلام بقوله: «**إنّ الأمل:**

١- يذهب العقل،

٢- ويكذب الوعد،

٣- ويحثّ على الغفلة،

٤- ويورث الحسرة»[(٢)].

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص ١٠٣

(٢) الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، (لا،ط)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ، ج١، ص ١٨٤.

إنّها آثار الأمل السلبي، القائد للإنسان في مسيرته، مقابل الأمل الإيجابي الذي يتحرّك، ولجامه بيد سلطان العقل وقيادته.

الأمل باللّه تعالى

بلحاظ هذين النوعين من الأمل الإيجابي والسلبي أراد اللّه تعالى أن يصوّب بوصلَة الإنسان نحو الكمال الحقيقيّ، وبوصلة المجتمع الإنساني نحو تطوّرِه ورقيّه من خلال عقد الأمل على اللّه تعالى، وقطعه عن غيره، عندها سيُدرك بركات المدد والتسديد والمواكبة، وقد عرض القرآن الكريم نماذج من الأنبياء الآملين، منها:

١- نبيّ اللّه ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذو الـ ١٢٠ سنة، وزوجته ذات الـ ٩٠ سنة حينما جاءته الملائكة ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾[١].

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٢٨ ـ ٣٠.

٢- نبيّ اللّه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو في الـ ٩٩ عامًا وامرأته في ٩٨ عامًا. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [1].

٣- نبيّ اللّه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث بقي أمله بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد سنوات طوال. حتّى قيل له بتعجّب واعتراض: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [2].

٤- نبيّ اللّه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث بقي أمله بالشفاء ثمانية عشر سنة، فدعا عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدها: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [3].

إنّه الأمل باللّه الذي تبقى شعلته مضيئة بوقود الإيمان. أمّا من ينحرف بأمله عن اللّه تعالى، فإنه سيصل في

---

(١) سورة مريم، الآيات ٤-٦.
(٢) سورة يوسف، الآية ٨٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٣.

آخر الطريق إلى اليأس. من هنا ورد عن الإمام علي عليه السلام: **«انقطع إلى الله سبحانه؛ فإنّه يقول: «وعزّتي وجلالي، لأقطعن أمل كلٍّ من يؤمِّل غيري باليأس»**[1].

وفي عصرنا خير شاهد على صدقيَّة هذا الحديث، فالإمام الخميني قدس سره أعلن بعد انتصار الثورة الإسلامية قطع الأمل من الشرق والغرب، ووصله فقط باللّه تعالى تحت شعار: **«لا شرقية ولا غربية جمهورية إسلامية»**. وانطلاقًا من هذا الشعار فلننظر اليوم إلى التطوُّر الحاصل في إيران. بينما نجد كثيرًا من البلدان الأخرى والتي أملت في أمريكا وإسرائيل من دون اللّه تعالى قد تراجعت وتقهقرت في مسيرتها.

(١) الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، ص١٠٧.

11

النصر

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[1].

معنى النصر في القرآن الكريم

إنّ المعنى الشائع للنصر هو غلبة فرد على فرد، أو جماعة على جماعة، وقد ينسبق الذهن إلى كون ذلك في ساحة قتال وما يشبهها. وقد استعمل القرآن الكريم مصطلح النصر بما يتواءم مع هذا المعنى الشائع، إلاّ أنّ هناك بعض الآيات القرآنيّة تتحدّث عن النصر في معنى أوسع من الغلبة في ساحة القتال، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾[2]،

---

(١) سورة غافر، الآية ٥١.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

فالنصر هنا هو بمعنى تشريع حكم إلهيّ للمظلوم يتدارك به ما وقع عليه من وصمة الظلم والبغي[(١)].

وعليه، فالنصر أعمّ من الغلبة في ساحة القتال، فقد تكون بمعنى فتح الباب لغلبة المبدأ الذي يحمله المنصور بما يحقّق من خلاله هدفه، فالغالب في هذا المعنى هو مبدأ وهدف المنصور.

ومن الشواهد على هذا المعنى ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه سئل عن المنتصر في عاشوراء، فكان جوابه بأنّك إذا سمعت المؤذّن يقول: أشهد أنّ محمّدًا رسول اللّه، تعرف من انتصر في كربلاء.

فاعل النصر في القرآن الكريم

أكّد الكتاب العزيز على أنّ النصر بالمعنى المتقدّم ليس من فعل الإنسان، بل هو من فعل اللّه تعالى. قال اللّه عزّ وجل:

(١) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، (لا، ط) قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (لا، ت)، ج١٤، ص٤٠٠.

١- ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾[١].

٢- ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾[٢].

٣- ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾[٣].

٤- ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾[٤].

٥- ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[٥].

كيف يتدّخل اللّه في تحقيق النصر؟

أخبرنا القرآن الكريم أنّ تدخَّل اللّه تعالى يكون بأمور، هي:

١- تسديد القائد

قال اللّه تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.
(٢) سورة النصر، الآية ١.
(٣) سورة العنكبوت، الآية ١٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٣.
(٥) سورة التوبة، الآية ١٤.
(٦) سورة النساء، الآية ١١٣.

٢- تثبيت المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[(٢)].

٣- إلقاء الرعب في قلوب الأعداء

قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[(٣)].

٤- إبطال كيد الأعداء

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[(٤)].

٥- تسديد الإصابة

قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[(٥)].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٢.
(٢) سورة محمّد، الآية ٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥١.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.
(٥) سورة الأنفال، الآية ١٧.

ما هو المطلوب من طالبي النصر؟

طرح القرآن الكريم عنوانًا عامًّا مطلوبًا ممّن يريد استنزال نصر اللّه تعالى، ألا وهو نصرة اللّه تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾(١).

ومعنى نصرة اللّه تعالى هو الانطلاق من الإيمان بالمبادئ الاعتقاديّة لتحقيق التكليف الإلهيّ الشرعيّ، بمعنى أنّ مصبّ نظر المؤمن هو إنجازه للتكليف المطلوب منه، بغضّ النظر عن النتيجة.

وقد عبَّر الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ عن هذه الفكرة بقوله: «**نحن مأمورون بأداء التكليف، ولسنا مأمورين بتحقيق النتائج**».

إذاً المطلوب هو النصرة التي أوضحها القرآن الكريم بمبادئها وتكاليفها بالعناوين الآتية المطلوبة من مستنزلي النصر:

١- الإيمان بالغيب

إنّ من معاني الإيمان بالغيب الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى هو

---

(١) سورة محمّد، الآية ٧.

السبب الحقيقيّ والعلّة الحقيقيّة لكلّ ما يجري في عالم الوجود. وهذا ما أكّده القرآن الكريم في آيات عديدة، منها:

أ- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾[1].

ب- ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾[2].

لذا دعا القرآن الكريم إلى الإيمان والتوكّل على اللّه في كلّ الأمور، فقال تعالى:

- ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾[3].
- ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾[4].
- ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾[5].

(١) سورة التوبة، الآية ١١٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٧.
(٣) سورة النساء الآية ٤٥.
(٤) سورة النساء، الآية ٨١.
(٥) سورة النساء الآية ٤٥.

٢- الإعداد بقدر الطاقة

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[١].

وأهمّ أنواع الإعداد ثلاثة:

I. الإعداد المعنويّ

إنّ الإخلاص للّه تعالى، والتوجّه إليه هو رأس قائمة الإعداد والجهوزيّة لاستمداد نصر اللّه تعالى في الحرب.

II. الإعداد التدريبيّ

ورد أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يشرف بنفسه على تدريب المجاهدين على القتال، وكان ينادي بين صفوف المتدرّبين: «**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي**»[٢].

III. الإعداد التجهيزيّ

إنّ المطلوب من المقاتلين أن يجهّزوا أسلحة الحرب

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) الطوسيّ، المبسوط، ج٦، ص٢٨٩.

المطلوبة، فعن الرسول الأكرم ﷺ: «إنّ الله تعالى يدخل بالسهم ثلاثة نفر الجنّة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبّله»[1].

والإعداد التدريبيّ والتجهيزيّ، وإن كانا مطلوبين، إلاّ أنّهما ليسا العلّة التامّة للنصر، وهذا نلاحظه في الآتي:

في إحدى حروب بني إسرائيل التي قادها طالوت، يحكي لنا اللّه تعالى قصّة نصر بعدد قليل من المؤمنين. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾[2].

في بعض النصوص بأنّهم كانوا ٦٠٠ ألف مقاتل، جلّهم شرب أكثر من غرفة، وبقي منهم ٣١٣ مقاتلاً محتسبًا فقط، وهؤلاء هم الذين قال اللّه تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾[3].

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٤، ص٣٤٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

وفي «بدر» كان الكفّار ٩٥٠ مقاتلاً وبينهم ٢٠٠ فارس، و٧٠٠ دارع، بينما المسلمون ٣١٣، معهم ثلاثة أفراس، وثمانية سيوف فقط.

ومع ذلك، فإنّ اللّه تعالى حينما رأى أنّ شروط النصر قد تحقّقت، أنزل نصره، وقال: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾[1].

وفي «خيبر» كان الجيش الإسلاميّ مؤلّفًا من ٣٠٠٠ مقاتل بينما جيش اليهود مؤلّف من ١٠,٠٠٠ مقاتل، ومع ذلك نصر اللّه تعالى المسلمين.

وفي «حنين» كان المشهد المقابل الذي عبّر عنه اللّه تعالى:

﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾[2].

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٣.
(٢) سورة التوبة، الآية ٢٥.

٣- الصبر

الصبر هو التحمُّل والمقاومة، مقابل الاستسلام للواقع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾[١].

٤- وحدة الصف

وهي ما أكّده القرآن الكريم معتبرًا أنّ عمدة هذه الوحدة هي طاعة اللّه والوليّ.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[٢].

وهذه الأنواع من الإعداد للنصر مطلوبة من المقاتلين، وكذا من مجتمعهم، فكما يتوجّه المقاتلون المجاهدون إلى

(١) سورة الأنفال، الآيتان ٦٥-٦٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

اللّه تعالى في جهادهم، يتوجّه مجتمع الجهاد والمقاومة أيضًا بالدعاء للمجاهدين لاستنزال النصر.

وكما يتدرّب المجاهدون على القتال، فإنَّ على المجتمع أن يكون المولِّد لأولئك المجاهدين، الدافع لهم نحو الإعداد الذي طلبه اللّه تعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما يجهّز المجاهدون أسلحتهم للقتال، فإنّ على المجتمع أن يشاركهم في ذلك التجهيز، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعان مجاهدًا في سبيل اللّه أظلَّه اللّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من جهّز غازيًا بسلك أو إبرة غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه، وما تأخّر»[(١)].

حتميّة النصر

حينما تتحقّق شروط النصر، فإنّ اللّه تعالى ضمن تحقيقه بشكل حتميّ، قال تعالى:

١- ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[(٢)].

---

(١) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص ٢٢.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٧.

٢- ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[(١)].

٣- ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾[(٢)].

ومضمون هذه الآيات الكريمة يجب أن ينعكس في أدبياتنا حينما نعبّر عن الانتصار، فلا نقول: انتصرنا، بل نصرنا اللّه تعالى.

وفي مجتمعنا شاهد حيّ على ما ورد في القرآن الكريم، فقد حقّقت المقاومة الإسلاميّة في لبنان ومجتمعها الأغرّ في حرب تموز عناصر النصرة، فكان النصر الإلهيّ.

(١) سورة محمّد، الآية ٧.
(٢) سورة غافر، الآية ٥١.

12

البصيرة

إنَّ كلمة البصيرة من الكلمات التي استعملت كثيرًا في النصوص الدينية، قرآنًا وأحاديث.

ففي القرآن الكريم وردت في قوله تعالى:

أ- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1].

ب- ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾[2].

وفي الأحاديث الشريفة وردت البصيرة في المواقع الآتية:

أ- في توصيف كمال العقل، ففي الحديث النبويّ الشريف:

«قسم العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كمل عقله، ومن لم تكن فيه، فلا عقل له:

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٢) سورة القيامة، الآيتان ١٤- ١٥.

١- حسن المعرفة بالله عزّ وجل،

٢- وحسن الطاعة له،

٣- وحسن البصيرة على أمره[١].

ب- في مقام دور البصيرة في الهداية، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بعدًا**»[٢].

ج- في مقام تفضيلها على البصر، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ذهاب البصر خير من عمى البصيرة**»[٣].

د- في مقام الدعاء لله تعالى، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهم إنّي أسالك...أن تجعل النور في بصري، والبصيرة في ديني، واليقين في قلبي**»[٤]. وورد أنّ الإمام الحسين عليه السلام ورد أنّه كان يقول في قنوته:

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، قم، جماعة المدرسين، ١٤٠٣هـ، ص١٠٢.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، ص١٩٨.

(٣) الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، ص٢٥٦.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٩٦.

«...واجعل على البصيرة مدرجتي، وعلى الهداية محجّتي...»[١].

هـ- في بيان كونها غاية للتفقّه في الدين، ففي الحديث عن الإمام الكاظم عَلَيهِ السَّلَامُ: «تفقّهوا في دين اللّٰه؛ فإنّ الفقه مفتاح البصيرة...»[٢].

و- في مقام الحديث عن فضل من يتصفون بها، ففي حديث الإمام علي عَلَيهِ السَّلَامُ - في صفة من يحفظ اللّٰه بهم حججه وبيّناته: «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين...»[٣].

وفي حديث الإمام الصادق عَلَيهِ السَّلَامُ: «كان عمّنا العباس بن علي عَلَيهِ السَّلَامُ نافذ البصيرة صلب الإيمان...»[٤].

وفي زيارة العباس بن علي عَلَيهِ السَّلَامُ ورد: «وأشهد أنّك مضيت على بصيرة من أمرك»[٥].

---

(١) المصدر السابق، ج٨٢، ص٢١٤.
(٢) الحراني، تحف العقول، ص٤١٠.
(٣) الإمام علي، نهج البلاغة، ج٤، ص٣٨.
(٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٧، ص٤٣٠..
(٥) الطوسي، مصباح المتهجّد، ص٧٢٦.

أهل البصائر

من لفظ «البصيرة» نشأ اصطلاح «أهل البصائر» الذي استعمله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في بياناته، ففي نهج البلاغة ورد أنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ خاطب معاوية بن أبي سفيان: «وأرديت جيلاً من الناس كثيرًا، خدعتهم بغيّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعوّلوا على أحسابهم، إلاّ من فاء من أهل البصائر؛ فإنّهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك؛ إذ حملتهم على الصعب، وعدلت بهم عن القصد»[1].

وفي بعض النصوص أنّ هذا المصطلح كان يستخدمه أيضًا بعض من عاصر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد خاطبه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء قائلين: حتى

(١) محمد، أويس، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ط١، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨هـ ص٤٣٦.

متى لا تقاتل القوم؟ فقال الإمام علي عليه السلام لهما: «لا تعجلا». فقال عبد الله بن بديل: ما تنتظر بهم، ومعك أهل البصائر والقرآن...»[١].

وفي كربلاء صاح أحد قادة جيش عمر بن سعد بأصحابه: **أتدرون من تقاتلون، تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقومًا مستميتين**[٢].

معنى البصيرة

إنّ ما تقدّم يشكّل حافزًا قويًّا لتحديد معنى البصيرةالذي نقاربه من خلال الحديث عن معنى البصر الذي اشتُقّ منه لفظ البصيرة، فالبصر هو أهمّ حاسّة من حواسّ الإنسان ويليها السمع.

وما يشير إلى أهميّة البصر وتقدّمه على بقيّة الحواس هو ما دلّت عليه دراسة علميّة تفيد أن ٧٥٪ مما يتعلّمه الإنسان يأتي من البصر، وأنّ ١٥٪ من السمع، و١٠٪ من بقية الحواس.

(١) المحمودي، نهج السعادة، ط١، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٦م، ج٢، ص١٥٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٩.

ولأجل كون هاتين الحاسّتين «البصر والسمع» تقعان على رأس الحواس تكرّر في القرآن الكريم وصف اللّٰه تعالى بـ «السميع البصير».

ومن هنا نطرح سؤالاً يتعلّق بالسمع أولاً، ثمّ بالبصر ثانيًا.

أ- هل ما يسمعه الإنسان هو عبارة عن الحقيقة الواقعيّة؟

والجواب تارةً نلاحظه من ناحية تحديد هويّة صاحب الصوت، وتارةً أخرى من خلال معرفة معنى الكلمات التي نسمعها.

أمّا هويّة صاحب الصوت فقد يكون من الصعب تحديدها واقعصا على ضوء إمكانية تقليد الأصوات، إلاّ إذا استطعنا الاستفادة من التقنيّة المتعلّقة بما يطلق عليه: بصمة الصوت.

أمّا معرفة معنى الكلمات التي نسمعها، فهل ما نفهمه من معاني يعبّر عن المعاني الواقعيّة المرادة؟

إنّ الجواب يتضح من خلال معرفة الحقيقة الآتية:

أنا حينما أكوّن فهمًا معيّنًا من خلال الكلمات التي أسمعها من متكلّم يريد إفهامي مطلبًا ما، فهنا يوجد أمران واضحان:

١- فهمي.

٢- المعنى المراد الذي ظهر من خلال تلك الكلمات.

لكنّ هناك أمرًا ثالثًا يتوسّط هذين الأمرين، هو عبارة عن المحطّة الذهنيّة الوسيطة بين الفهم والمعنى المراد، وهذه المحطّة الوسيطة ليست قناة تكوينيّة معصومة بحيث تدخل فيها الأصوات، ويكون ناتجها دائمًا هو المعنى الحقيقيّ المراد، بل هي محطّة تتأثّر بعوامل عديدة يكون لها دور أساس في تكوين الفهم.

ألا نرى أن أحدًا قد يتكلّم بمطلب معيّن ويخرج الحاضرون، وكلٌّ منهم يؤكّد أنّ مراد المتكلّم هو معنى يختلف عن المعنى الذي يؤكّده الآخر.

أذكر حادثة طريفة حصلت معي في إحدى المستشفيات

حينما كنت أزور مريضًا، وكان إلى جانبه مريض يجلس قربه زائران يتخاصمان في ملكيّة أرض، وحينما رأيَاني هلّلا باعتبار أنّي سأجيبهما عن ما يتخاصمان حوله، وفعلًا طرحا المسألة، وكانت واضحة، وجوابها الشرعي واضحًا أيضًا، وحينما أجبتهما بتعبير بيّن، قال الأول للثاني: «سمعتَ». وقال الثاني للأوّل أيضًا: «سمعتَ».

إنّ ما سمعه كلٌّ منهما هو أمرٌ واحد، لكنّ فَهْمَ الأول اختلف عن فهم الثاني، لماذا؟

لأنّ هناك محطّة وسيطة بين المعنى المراد والفهم تأثّرَتْ في الأول بعوامل معيّنة، بينما تأثّرَتْ عند الثاني بعوامل أخرى.

إنّ بعض علماء النفس يطلقون على هذه المحطّة الوسيطة اسم «النظام الإدراكي»، وهو نظام يقوم بتفسير المسموع وتحليله، وباختلاف التفسير والتحليل ينشأ الاختلاف بين الناس في ما يفهمون.

من هنا ورد في الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام حول علاقة الأخ بأخيه المؤمن: «كذِّب سمعَك ... عن أخيك»[١].

فإذا سمعتُ الأخ المؤمن يقول قولاً، ثمّ طالبتُه به، فنفى أن يكون قد قال ذلك، فهنا الإمام الكاظم عليه السلام يقول لي: كذّب سمعك، ولا تكذّب أخاك، وهذا قد يكون مستغربًا عند البعض، إلاّ أنّ التأمّل فيما تقدّم يدفع الاستغراب، فإنّ ما فهمتُه ليس معلومًا أنّه عبارة عن ما قاله وأراده واقعًا، وإنّما هو فهمي الذي تكوّن عبر النظام الإدراكي الذي قد يتأثّر بعوامل عديدة، وعليه يمكن أن يكون فهمي ليس واقعيًّا، وعليه، فهو يحتمل الاشتباه، إذًا أنا أمام أمرين: تصديق فهمي الذي يحتمل الاشتباه، وتصديق قول الأخ المؤمن، فأيّهما اتّبع؟ الإمام الكاظم عليه السلام يجيب: قدّم ما قاله المؤمن على فهمك.

وهكذا الحال فيما نبصره، فأنا حينما يقع بصري على شيء ما، فهناك ثلاثة أمور:

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢١٥.

١- المُبصَر الخارجي الواقعي.

٢- التصوّر الذي حصل في ذهني.

٣- الأمر الثالث هو الذي يتوسّط هذين الأمرين، وهو النظام الإدراكي الذي يقوم بتفسير الصورة القادمة إلى ذهني. وباعتبار كون هذا النظام يتأثّر بعوامل عديدة، فإن نتائج التصوّرات تختلف بسببه، وعليه فإنّنا نستطيع تفسير تكملة الحديث السابق من دون استغراب، إذ تكملته هي: «كذّب سمعك وبصرك عن أخيك»[1].

وحول هذا الأمر أنقل قصّة لطيفة أيضًا حصلت معي في البرازيل، ففيها شراب شعبيّ يدعى «غُوْرَنَا»، وهو يُصنع من نبات لا إشكاليّة في حلّيّته، لكن مشكلته أنّه يشبه الـ«بيره» بشكل كبير، سواء في لونه أو رغوته، حتى أنّي حينما رأيت أول وصولي إلى البرازيل فتاة صغيرة في مطار «ساو باولو» تشرب منه، ظننت أنّها تشرب الـ«بيره»، وذات يوم كنت

(١) المصدر السابق نفسه.

أقوم بعقد زواج فتاة على شاب، وضعوا الـ «غورنا» على الطاولات، لكن بعد قليل أتوا بالكاميرا يريدون التصوير، فاعترضتُ عليهم قائلاً: إمّا أن لا تصوّروا، أو تزيلوا أكواب الـ«غورنا» من المجلس، هم تعجّبوا، لكنّي وقتها كنت أستحضر قصّة ذلك الشاب الذي وجد في ثلّاجة صديقه زجاجات مليئة بالمياه الغازية perrier، فاعتقد أنّ صاحبه يشرب الـ«بيره»، فأخذ يشهّر به بين المؤمنين؛ لجهله بتلك المياه الغازيّة، إضافةً لقلّة تديّنه ووعيه، فلو أنّ هذا الشابّ كان متديّنًا واعيًا، لسأل صاحبه عن ماهيّة تلك الزجاجات. ولكن لو افترضنا أنّه سكت ولم يسأله، ثمّ سأله بعد فترة، فأنكر صاحبه وجود زجاجات «بيره» في ثلّاجته دون تبرير لذلك بأنّها مياه غازيّة، لكان الموقف للشاب المؤمن أن يمتثل قول الإمام الكاظم عليه السلام: «كذّب سمعك وبصرك عن أخيك»[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢١٥.

البصيرة تتعلّق بالقضايا

استكمالاً لمعرفة معنى البصيرة لا بدّ من التفرقة بينها وبين البصر، فالبصر هي حاسّة يعرف من خلالها الإنسان ما تتعلّق به العين، وما تتعلّق به العين هو شيء مادّي محدّد، يأتي -بصورته كما يعبّر المناطقة-، أو -بماهيّته كما يعبّر بعض الفلاسفة- إلى النفس الإنسانيّة.

إنّ الانتقال الذي حصل هو انتقال صورة محدّدة تم تصغيرها مع المحافظة على كامل الأبعاد، لتدخل في ذاكرة الإنسان بالحجم المناسب بداية، ثمّ «**لتُفلتَر**» بعد ذلك من المادّة التي لا تتناسب مع النفس، فتدخل إلى النفس مناسبَةً في تجرّدها معها. هذا كلّه في أمر مادّي يأتي إلى الذهن صورةً، وهو من عمل البصر.

إنّ ما مضى يقع في دائرة ما يسمّيه علم المنطق بالتصوّر، لكنّ هناك أمرًا آخر يحصل في النفس الإنسانيّة هو عبارة عن قضيّة فيها - بتعبير المناطقة- موضوع ومحمول ونسبة بينهما، مثل: «**هذه بيره**»، فـ «**هذه**»

إشارة إلى ما وقع عليه بصري، وهو الموضوع، و«بيره» هي ما أعلم حقيقته من خلال قاموسي العلمي المختزن في نفسي، وهي المحمول، إلاّ أنّ هناك أمرًا ثالثًا هو أنّي نسبت «البيره» إلى «هذه»، وهو ما يسمى «النسبة»، وإذا دقّقنا في هذه النسبة نلاحظ أنّ اعتقادي بها نشأ من عوامل فيها تحليل، ولم تنشأ فقط من البصر أو المعلومات المختزنة لديّ، فأنا حكمت عليها بأنّها «بيره» من خلال لون الزجاجة وشكلها، أو من خلال لون السائل ورغوته... أو ما شاكل، فقمت بتحليل داخلي أجريت فيها مطابقة بين صفات الـ «بيره» وبين «هذه» فحكمت عليها بأنّها «بيره».

لكن من الواضح أنّ هذا الحكم، حتى يكون صحيحًا، لا بدّ من مروره بمسار دقيق محكم، وإلاّ سيكون خاطئًا.

وهذا المسار الدقيق المحكم يعتمد على بنود أساسيّة هي:

الأول: التأكّد من الذي أواجهه، فإن كان محسوسًا، فلا بدّ من سلامة الحواس، وتركيزها عليه دون غفلة.

الثاني: صحة المعلومات التي أختزنها في قاموسي النفسيّ، والاستعانة بمعلومات أخرى عند الحاجة إليها.

الثالث: استحضار الاحتمالات الأخرى المطلوبة في ما أواجهه.

الرابع: التحليل الصحيح لحسم النتيجة في ضوء ملاحظة ما واجهته والمعلومات والاحتمالات المتعلّقة به.

أمّا البند الأول، فأمره واضح، فمن كان عنده ضعف شديد في البصر أو عمًى في الألوان، فإنّه لا يصحّ أن يعتمد على حواسّه في قضية ترتبط بها.

أمّا صحة المعلومات لا سيّما التي يختزنها، فهي مرتبطة - بشكل عام- بالعمليّة التربويّة التعليميّة الأولى في حياة الإنسان، والتي يؤكّد الإسلام، كما العلم الحديث، على ضرورة أن لا تكون المعلومات الأوليّة لدى الطفل ناشئة من التلقين، بل لا بدّ أن تكون نتاج التجربة الشخصيّة، والمعاينات الخاصّة، لذا دعا الإسلام، وكذا علم التربية،

إلى ترك الطفل في سنينه الأولى دون تعليم تلقيني، ليتعرّف على معنى الحرارة حينما يقترب من النار، وليتعلّم علاقة العلّة بالمعلول حينما يضغطه زرّ الكهرباء فينير المصباح، ثمّ يضغطه مرّة أخرى فينطفئ، ثمّ يضغطه فينير، ثم يضغطه فيَنطفئ.

ثمّ تأتي المرحلة التلقينيّة التي لا بدّ للوالدين والقيّمين على أمور المجتمع أن يواكبوا نقاوتها حتى لا تتلوّث بمعلومات تنتج أفكارًا خاطئة. وهذا ما أكّدته بعض الأحاديث الداعية إلى الالتفات إلى التكوين الفكري للأحداث، أي الناشئة، كالحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليه المرجئة**»[1]. ثم تأتي مرحلة التحليل الذاتي التي يعتمد فيها الإنسان على نفسه في المعارف، والتي لا بدّ فيها أن لا يخطئ في تركيب المقدّمات الصحيحة كي تكون النتيجة كذلك.

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧، ص٣٣١.

من خلال ما تقدّم أخيرًا نعرف أهميّة الأمرين الثالث والرابع في المسار الصحيح لحكم الإنسان، فإنّ الحكم الصحيح لا بدّ أن يقوم على نفي الاحتمالات الأخرى التي تؤدّي إلى خلاف ذلك الحكم، وتحليلها بهدف الوصول إلى النتيجة الصحيحة، فلو أنّ ذلك الشاب في المثال الذي طرحته استحضر احتمالات أخرى حول ما شاهده في ثلّاجة أخيه، وحلّلها بالشكل الصحيح، فإنّه لن يصل إلى قناعة بكون ما في ثلّاجة أخيه هو «بيره».

إنّ السير في ضوء تلك البنود الأربعة يوصل الإنسان إلى قناعة موضوعيّة بالقضيّة، إلى حدٍّ تصبح القضيّة كأنّها أمرٌ مرئيٌّ، ويصبح مولّد تلك القناعة كأنّه عين باصرة لها، لذا كما سمِّيت رؤية العين بصرًا، فقد سمّيت القناعة المتولِّدة من ذلك المسار بالبصيرة.

فالبصيرة هي عقيدة القلب التي تنطلق من مسار صحيح تُري صاحبها القضيّة على واقعها كما هي عليه.

من هنا قارب العلاّمة الطريحي قُدِّسَ سِرُّهُ تعريف البصيرة

بأنّها «**الدلالة التي يُستبصَر بها الشيء على ما هو به**»[(١)].

وعرّفها بعضهم بأنّها «**اسم لما اعتقدته في القلب من الدين وتحقيق الأمر**»[(٢)].

وعرّفها البعض بأنّها «**عقيدة القلب**»[(٣)] والبعض الآخر بأنّها: «**رؤية القلب**»[(٤)].

ميادين البصيرة

للبصيرة ميادين وساحات نقتصر الكلام هنا على ثلاثة منها هي:

١- البصيرة على النفس

إنّ من أوضح معارف الإنسان معرفته بنفسه، فالإنسان يعرف نفسه بالعلم الحضوريّ، أي ليس من خلال استحضار صورة الشيء إلى النفس كما أَستحضِرُ صورة

(١) الطريحي، مجمع البحرين، ط٢، طهران، طراوت، ١٣٦٢، ج٣، ص٢٢٤.
(٢) المدني، علي خان، رياض السالكين، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٤١٧.
(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (لا،ط)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج١، ص٣٧٣.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج٢٠، ص١٠٦.

القلم والكتاب والطاولة، بل إنّ نفسي حاضرة بنفسها لا بصورتها عند نفسي، وكذا يعلم الإنسان بعدّة أمور تتعلّق بنفسه من خلال حضورها عند نفسه، لا بحضور صورها، فالواحد منا يعرف نفسه بأنّه جائع أو عطشان، لا من خلال حضور صورة الجوع والعطش لدى نفسه، بل من خلال حضور الجوع والعطش نفسيهما لديها، من هنا نطلّ على بعض الأحكام الراجعة إلى نفس الإنسان، فإنّ الإنسان يعرف صفات نفسه الواقعيّة، وإنْ أظهر خلافها أمام الناس، فهو يعرف ضعفها، وإن أظهر القوة، ويعرف بخلها، وإن أظهر الكرم، ويعرف جبنها، وإن أظهر الشجاعة، فهو قد يظهر ما ليس واقعًا في نفسه، ويلقي لذلك المعاذير، لكنّه في الواقع هو كما قال اللّه تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾[1].

٢- البصيرة في الدين

بما أنّ الدين يشكّل الطريق القويم الذي يوصل الإنسان

(١) سورة القيامة، الآيتان ١٤- ١٥.

إلى كماله الذي يمثّل غاية وجوده، وبما أنّ الدين لم يجعله اللّه تعالى نصًّا واحدًا لا يمكن أن تحرّف مفاهيمه، فإنّ معرفة الدين الحقّ دون تحريف تحتاج إلى آليّة صحيحة، ومسار متقن لتتحقّق من خلال ذلك البصيرة فيه، وهذا المسار، وإن مرّت بنوده العامّة سابقًا، إلاّ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على أنّ ذلك يحتاج إلى تسديد إلهيّ للإنسان، فأكّدوا على الدعاء «**اللهم إنّي أسألك أن تجعل النور في بصري، والبصيرة في ديني**»[1].

ولعلّ هذا التأكيد بسبب المحاولات الحثيثة من إبليس ومن قد يساعده من شياطين الإنسان لتحريف صورة الدين عبر محاولة تأثيره في النظام الإدراكي الوسيط، فإنّ تأثير إبليس في الإنسان يقتصر على الإدراك، ومحاولة إراءة الصورة على غير واقعها، كإراءته ما انجذب إليه الناس من بيان القرآن الإعجازي، في زمن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه نوع من السحر. وقد عبّر القرآن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٩٦.

الكريم عن دور إبليس هذا بقوله عزّ وجل: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[١]. فالمخلَصون هم الذي ثبتت عندهم الحقائق بحيث لا يستطيع إبليس أن يغيّرها، أمّا غير المخلَصين، فهو يسعى جاهدًا نحو تغييرها من خلال التأثير على النظام الإدراكي لديهم.

٣- البصيرة الاجتماعيّة

إنّ وعي الأمور الاجتماعيّة على حقيقتها، أي البصيرة فيها، تحتاج إلى السير في ضوء البنود الأربعة في المسار السابق، والتي هي:

١- التأكّد مما أواجهه.

٢- صحة المعلومات.

٣- استحضار الاحتمالات الأخرى.

٤- التحليل الصحيح على ضوء ما تقدّم.

(١) سورة الحجر، الآيتان ٣٩-٤٠.

وهنا لا بدّ من ملاحظة أمر يتعلّق بالبند الثاني، وذلك أنّ من ضمن المعلومات التي لا بدّ من الاعتماد عليها، وعدم إغفالها هو ناتج البصيرة في الدين، فالبصيرة الاجتماعيّة تعتمد على البصيرة الدينيّة؛ إذ الأخيرة تُشكّل أساسًا ومدماكًا في البصيرة الاجتماعية.

وتَكوُّن البصيرة الاجتماعيّة، لا سيّما في نطاقها الأوّل في الأسرة والأصدقاء والأقرباء والجيران، يحتاج -عادةً- إلى تدخّل الواعين من الأهل والمعلّمين وغيرهم لتوجيه الأبناء والتلامذة نحو الوعي الاجتماعي من خلال السير في ضوء البنود الأربعة السابقة.

أمّا في الدائرة الاجتماعية العامّة، فإنّ البصيرة لا يكفي فيها توجيه الأهل والمعلّمين والمربّين، بل تحتاج إلى توجيه الوليّ العام للأمّة الذي يشكّل ضامنًا ضروريًا لتحصين بصيرتها، لا سيّما مع الجهود الكبيرة التي تبذل من شياطين الإنس والجن؛ كي يحرفوا القضايا عن حقيقتها.

وفي نهج البلاغة يوضّح الإمام علي عليه السلام محاولات معاوية تحريف الحقائق التي نجحت مع جيل كثيرٍ من الناس، في مقابل فئةٍ لم يستطِع معاوية أن يغيّر في نظامهم الإدراكي المحكَم، فاستحقوا أن يطلق عليهم الإمام علي عليه السلام مصطلح أهل البصائر، كما في خطابه المتقدّم لمعاوية بن أبي سفيان: «**وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعوّلوا على أحسابهم، إلاّ من فاء من أهل البصائر؛ فإنّهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك، إذ حملتهم على الصعب، وعدلت بهم عن القصد**»[١].

فيما عدا أهل البصائر نجح معاوية في تحريف صورة الدين، والمسار الاجتماعي للكثير من الناس، حتى وصل الأمر أن يجتمع عشرات الآلاف منهم بهدف قتل سبط

(١) محمد، أويس، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص٤٣٦.

رسول اللّه ﷺ في كربلاء الذي اجتمع مع عشرات فقط امتازوا بمصطلح «أهل البصائر»، وبلغوا «الفتح» بتعبير الإمام الحسين عليه السلام ومن «ومن تخلّف لم لم يبلغ الفتح»[1]. والفتح مقابل الإغلاق هو بصيرة قلب مقابل عماه.

لكن ما حصل في كربلاء بتخطيط من الوليّ العامّ استطاع أن يكون شاخصًا واضحًا في محاربة ذلك التشويه والإضلال، وبالتالي محافظًا على صورة الدين، ومحصِّنًا لمسار الأمة من ذلك الانحراف الذي كاد أن يصل به إلى الهاوية التي لا رجوع عنها.

لقد استطاعت النهضة الحسينيّة أن تكون المناهضة الدائمة المستمرّة على مدى العصور لتشويه الدين، ومسار الأمّة الاجتماعي في النظام الإدراكي العام لها، وذلك عبر العمل الدؤوب من أبنائه الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين أكّدوا:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٨١.

١- كون الثقافة الحسينيّة هي عنوان أساسيّ في الصراع الذي يريد فيه أهل الباطل أن يشوّهوا ويحرّفوا صورة الحقّ.

٢- مرجعيّة أولياء الأمر العلماء في تحصين بصيرة الأمّة سواء في عصر الحضور، أو في عصر الغيبة، الذي تحدّث عنه الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ بما ورد عنه: **«لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عَلَيْهِ السَّلَامُ من العلماء الداعين إليه، والدّالين عليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلاّ ارتدّ عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكّانها. أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجل»**[1].

وكذا تحدّث عنه الإمام المهدي عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّرِيف في الرواية المصحّحة الواردة عنه: **«أمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ص٦.

فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»[١].

وفي عصرنا شاهد عظيم على ذلك، ألا وهو الإمام الخمينيقدس سره الذي نقل الأمّة من حالة الإغلاق والتيه والانجذاب إلى الهاوية إلى البصيرة والوعي والإدراك لمحاولات شياطين الجنّ والإنس للتأثير في النظام الإدراكي للأُمّة فرسم خطوطًا حدّد من خلالها:

- عدوّ الأمة الوجودي، وهو إسرائيل.
- عدوّ الأمّة السياسي، وهو أمريكا.
- قضيّة الأُمّة الأساسيّة، وهي القدس.
- واجب الأمّة الأساس، وهو وحدتها.

واسترجع في منهجه العالم والمرأة والمسجد إلى أدوارهم الأصيلة.

وأوضح المعالم التي تحتاج الأُمّة إلى الاستنارة بها. وقد عرفت هذه الخطوط بخطّ الإمام الخمينيّ قدس سره الذي

(١) المصدر السابق، ص٩٠.

اعتبره ولي الأمر الإمام الخامنئيّ دام ظله شاخصًا ضروريًا في صيانة بصيرة الأُمّة وحمايتها من أي انحراف.

فإن أردنا أن نكون من أهل البصائر، فمدرستهم عاشوراء، وصفتهم الشجاعة، وقائدهم وليّ الأُمّة، ومحصّن بصيرتها وهدفهم إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، فهم فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوم مستميتون.

والحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

أ

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي طالب، الامام علي، شرح محمد عبده، ط١، قم، دار التعارف، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابراهيم، (لا، ط)، قم، اسماعيليان، (لا، ت).

٤. ابن منظور، محمد، لسان العرب، (لا، ط) قم، نشر أدب الحوزة، هـ١٤٠٥.

٥. أبو الفتح، الكراجكي، معدن الجواهر،ط٢، مهر استوار، قم، (لا،ت).

٦. الإمام علي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢ هـ.

٧. الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، ط٢، دار التعارف، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٨. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، ١٩٨٣م.

ب

٩. البحراني، هاشم، مدينة المعاجز، تحقيق: الشيخ عزة اللّه المولائي الهمداني، ط١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ.

١٠. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ.

١١. البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قم، المؤلّف، ١٤١١هـ.

١٢. بروتوكولات حكماء بني صهيون، ط١، دمشق، طلاس.

ت

١٣. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، ١٩٨٣م.

ح

١٤. الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٥. الحر العاملي، محمد، هداية الامة إلى أحكام الأئمة، ط١، مشهد، مجمع البحوث العلمية، ١٤١٢ هـ.

١٦. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

١٧. الحر العاملي، الفوائد الطوسيَّة، تحقيق مهدي اللازوردي، ومحمد درودي، (لا، ط)، قم، المطبعة العلمية، ١٤٠٣ هـ.

١٨. الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب، ط١، مشهد، ١٤١٣ هـ.
١٩. الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء، ط١، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٤ هـ.
٢٠. الحميري، عبد اللّٰه، قرب الاسناد، ط١، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٣ هـ.

خ

٢١. الخطيب، محمد نمر، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، (لا، ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (لا، ت).

ر

٢٢. الراوندي، قطب الدين، الدعوات، ط١، قم، مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ١٤٠٧ هـ.
٢٣. روح اللّٰه، الخميني، الرسائل، تحقيق مجتبى الطهراني، (لا،ط)، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٨٥هـ.

٢٤. الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق ونشر دار الحديث، ط٢، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٢٥. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، ط١، (لا،م)، (لا،ت).

ز

٢٦. الزبيديّ، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

س

٢٧. السجستاني، سليمان بن الاشعث، سنن أبي داود، تحقيق سعيد اللحّام، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ هـ.

٢٨. السبزواري، محمد باقر، ذخيرة المعاد، (طبعة هجرية)، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، (لا، ت).

ش

٢٩. الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، (لا، ط)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.

٣٠. الشهيد الثاني، زين الدين، منية المريد، تحقيق رضا المختاري، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

٣١. الشهيد الثاني، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني (لا، ط)، بصيرتي (لا، ت).

٣٢. الشهيد الثاني، زين الدين، حاشية شرائع الإسلام، تحقيق ؟؟؟ الابحاث والدراسات الاسلامية، ط١، قم، بوستان كتاب قم، ١٤٢٢ هـ.

٣٣. الشهيد الأول، محمد بن مكي، البيان، تحقيق محمد الحسون، ط١، قم، محقّق، ١٤١٢ هـ.

ص

٣٤. الصدّوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ط٢، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة، ١٤٠٤هـ.

٣٥.الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، (لا، ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م.

٣٦. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٣هـ.

٣٧. الصدوق، الأمالي، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧ هـ.

ط

٣٨.الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، (لا، ط) قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (لا، ت).

٣٩. السبراني، سليمان، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، (لا، ط)، بيروت، دار احياء التراث، (لا، ت).

٤٠.الطبرسي، أحمد، الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، (لا،ط)، النجف، دار النعمان، ١٩٦٦م.

٤١. الطريحي، مجمع البحرين، ط٢، طهران، طراوت، ١٣٦٢هـ.
٤٢. الطوسيّ، محمد المبسوط، تحقيق السيد محمد تقي الكشفي، (لا، ط)، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧هـ.
٤٣. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ.
٤٤. الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٧ هـ.
٤٥. الطوسي، محمد، مصباح المتهجد، ط١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٩٩١م.

ف

٤٦. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (لا،ط)، (لا،ن)، (لا،ت).
٤٧. الفتال، النيسابوري، محمد، روضة الواعظين، تحقيق محمد مهدي الخرسان، (لا، ط)، قم، الشريف الرضي، (لا، ت).

ق

٤٨. القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، (لا، ط)، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ.

ك

٤٩. الكاشاني، التفسير الصافي، ط٢، قم، مكتبة الصدر، ١٤١٦هـ.

٥٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧هـ.

م

٥١. محمد، أويس، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ط١، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٥٢. المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال، تحقيق: الشيخ بكري حياني، (لا، ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.

٥٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق محمد

الباقر البهبودي، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م.

٥٤. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين، تحقيق حسين الكرماني وعلي الاشتهاري، (لا، ط)، قم، بيناد فرهنك اسلامي، (لا، ت).

٥٥. المحمودي، نهج السعادة، ط١، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٦م.

٥٦. المدني، علي خان، رياض السالكين، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.

٥٧. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٩٨٨ م.

٥٨. الماوردي، علي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مكة، دار التعارف.

٥٩. المازاندراي، محمد، شرح اصول الكافي، ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠.

٦٠. منعم، طانيوس، خط الصهيوني على النصرانية والاسلام، (لا، ط)، بيروت.

ن

٦١. النيسابوري، الحاكم، المستدرك، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (لا، ط)، (لا، ن)، (لا، ت).

و

٦٢. الواسطي، علي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، (لا، م)، دار الحديث، (لا، ت).

الفهرس

صدر للمؤلف

١. حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران.

٣. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤. دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.

٥. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦. برقية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d’Al-Houssein (Qu’Allah le salue).

٧. وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.

٩. أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٠. التبليغ من وحي التجربة، قمّ.

١١. Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

١٢. A ORACAO NO ISLAM «Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

١٣. مختصر الواجبات في الإسلام (UM RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

١٤. خيوط القبعة، بيروت، دار الصفوة.

١٥. حائك القبعة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

١٦. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.

١٧. قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٨. هذا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٩. محاضرات في الثقافة الإسلامية بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٠. يسألونك عن اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t'interrogent à propos Allah.

٢١. يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about prophets

Ils t'interrogent sur les prophetes

٢٢. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about Imams.

ils t’interrogent sur les imams

٢٣. يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٤. يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة (مركز نون للتأليف والترجمة):

They ask you about Imitation.

Il t’interrogent sue le Taqlid.

٢٥. يسألونك عن القبر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

They ask you about Death & the Barrier (The Call for Departure)

٢٦. يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They Ask You about Resurrection

Ils t’interrogent sur la resurrection

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٧. دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢٨. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩. ٣ حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٠. كيف تجعل ولدك صالحًا؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣١. كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٢. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. (بين يدي القارىء).

٣٣. آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يزكّيهم، وتضم:

٣٤. ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٥. برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٦. هكذا تكون سعيدًا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.
مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.

٣٧. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٨. شهر اللّٰه آدابه – مناسباته – أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٩. لا تَقرَبُوا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٤٠. كيف نتواصل مع اللّٰه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها
على موقع سراج القائم عجّل الله فرجه الشريف
www.sirajalqaem.com